يعقوب يوسف الحجي

الشيخ عبدالعزيز الرشيد

دوره في الحركة الأدبية والثقافية في الكويت



سلسلة كتاب الرابطة رقم (١٣)

رابطة الأدباء في الكويت
سلسلة كتاب الرابطة
(١٣)

الشيخ عبدالعزيز الرشيد
دوره في الحركة الأدبية والثقافية في الكويت

تأليف
يعقوب يوسف الحجي

الطبعة الأولى
أبريل 2001 م

سلسلة كتاب الرابطة

(١٢)

هيئة التحرير

طبع هذا الكتاب بدعم من :

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

الطبعة الأولى

أبريل 2001 م

الكتاب:

الشيخ عبدالعزيز الرشيد
دوره في الحركة الأدبية والثقافية في الكويت

الطبعة الأولى
أبريل 2001 م

الناشر: رابطة الأدباء في الكويت

بريدياً: ص.ب: ٣٤٠٤٣ العديلية ـ الرمز البريدي 73251 الكويت
P.O.Box:34043 Odailia _ 73251 Kuwait

فاكس: ٢٥١٠٦٠٣ Fax:2510603
هاتف: ٢٥١٨٢٨٢ Tel:2518282

تصميم الغلاف: فاطمة الشخص

"من أجل أن تكتمل القلادة"

وساما نزين به صدورنا، عدنا إلى الذين أودعناهم بين يدي الله، وإلى الذين يعدون من كبار أدباء الرابطة، وجميعهم أعضاء مؤسسون أثروا الحركة الإبداعية والأدبية في الكويت، بكتب تعريفية نضعها بين يدي الجيل الفتي، ومن لهم اهتمام بمعرفة الرواد، وذلك بمناسبة اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية.

الشيخ عبدالعزيز الرشيد ودوره في الحركة الأدبية والثقافية في الكويت

مولده وتعليمه

ولد الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرشيد البداح في منزل والده في حي الوسط في مدينة الكويت القديمة عام ١٨٨٧ (١٣٠٥هـ) . وكان والده أحمد قد جاء في الأصل من نجد مع اثنين من إخوته (ومن قرية كانت تدعى الزلفي) إلى الكويت طلبا للرزق وللعمل في هذا الميناء البحري والبري المزدهر . وكان أحمد الرشيد رجلا متدينا على طريقة أهل نجد من أتباع المذهب الحنبلي ، فكان لهذا أكبر الأثر في نشأة ابنه عبدالعزيز وفي تعليمه كذلك . وحين بلغ الصبي عبدالعزيز السادسة من عمره أرسله والده إلى الملا زكريا الأنصاري الذي كانت له مدرسة لتعليم القراءة والكتابة وتلاوة القرآن ، بالإضافة إلى مبادئ الحساب .

وحين بلغ العاشرة من عمره أخذه والده معه في بعض رحلاته التجارية ، حاملين أصواف الأغنام من الكويت إلى بلاد القوقاز (شمال بحر قزوين) عبر بلاد فارس لبيعها هناك ، وقد كانت هذه الأصواف تستخدم لصنع أغطية للرأس في تلك الأصقاع الباردة نظرا لجودتها . ولكن الشاب عبدالعزيز لم يستمر طويلا في مصاحبة والده وعمه راشد في هذه الرحلات ، بل تركها لكي يلتحق بمدرسة الشيخ عبدالله خلف الدحيان ـ أحد أبرز الشخصيات الدينية في الكويت آنذاك ، ولما حصل على ما استطاع من العلم من هذا الشيخ التقي والوقور قرر السفر إلى بلدة الزبير لمواصلة تعليمه على يد الشيخ محمد بن عبدالله العوجان .

وصل الشاب عبدالعزيز إلى الزبير عام ١٩٠٢ والتحق بمدرسة الشيخ العوجان حيث أمضى عاماً كاملا يواصل تعليمه فيها ثم عاد إلى الكويت وعمره ١٦ عاما ، حيث قرر والده أن يزوجه .

ولكنه لم يستقر في بلده طويلا ، بل عزم على السفر إلى الأحساء لمواصلة دراسته على يد أحد المشايخ في ذلك المركز العلمي الديني المعروف ثم عاد إلى الكويت ، وفرحت به زوجته ووالده أحمد ووالدته حصة ولكنها فرحة لم تدم إذ قرر أن يواصل تعليمه في بغداد هذه المرة على يد علاّمة العراق السيد محمود شكري الألوسي ، وكان ذلك في عام ١٩١١ . وحين وصل بغداد تعهده السيد الألوسي بالرعاية وبالتعليم حتى ظهر له أول انتاج قلمي على شكل رسالة اسماها «تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين» ، تحت إشراف أستاذه

الألوسي ، وهي رسالة تبين فضل الرجال على النساء وعن حجاب النساء وعن مساوئ الاختلاط . ولقد كانت هذه الرسالة تعكس عاطفة الشاب عبدالعزيز الدينية آنذاك وتعليمه الديني المتشدد حيال المرأة ، ولقد أعجبت هذه الرسالة أستاذه الألوسي الذي طلب منه (بعد طباعتها في بغداد) إرسال نسخ منها إلى العديد من العلماء . كما قرظ هذه الرسالة استاذه في الكويت الشيخ عبدالله الدحيان وكذلك الشيخ عبدالعزيز العلجي الأحسائي .

ولم يكتف الشاب عبدالعزيز بما حصل عليه من العلم في بغداد فقرر السفر إلى مصر لكي يلتحق بدار الدعوة والإرشاد التي أسسها صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا في القاهرة . ولكنه ما أن وصل إلى القاهرة وطلب الالتحاق بهذه الدار حتى رفض طلبه ، ربما لأن مستواه التعليمي كان عاليا ولا حاجة له للالتحاق بهذه المدرسة التي أسسها السيد محمد رشيد رضا لمساعدة طلاب العلم من مختلف الدول الإسلامية ، فترك مصر في طريقه إلى الحجاز حيث زار الأراضي المقدسة والتقى بالعديد من علماء العالم الإسلامي الكبار ، ودارت بينه وبينهم أحاديث عن أحوال المسلمين وسبل تحسينها . ولما أتم مراسم الحج قرر أن يجاور في الحرم المدني فأمضى قرابة العام في مدينة الرسول (ص) يعلم ويتعلم حتى عاوده الحنين للأهل والأصدقاء فترك المدينة وعاد إلى الكويت ، وكان قد بلغ من العمر ٢٦ عاما .

العودة إلى الوطن والمشاركة في الحياة الثقافية فيه

عاد الشاب عبدالعزيز إلى الكويت عام ١٩١٣ وقد امتلأ حماسا وعلما وعزيمة على خدمة وطنه وأهله ، فكان أول من سعد بعودته والدته وزوجته التي أخذت تعد نفسها بحياة أفضل في ظل زوجها الشيخ عبدالعزيز الرشيد الذي لبس الجبة والعمامة على طريقة علماء العراق ، وأخذ يتعرف على بوادر النهضة العلمية في الكويت وعلى رجالاتها ، فكان أول اتصال له بالشيخ يوسف بن عيسى القناعي الذي لقبه الشيخ عبدالعزيز فيما بعد بمصلح الكويت الأول . ولما علم الشيخ يوسف بأن زميله هذا له ولع بالتربية وبالتعليم عرض عليه أن ينضم إلى سلك التدريس في المدرسة المباركية ـ أول مدرسة نظامية في الكويت ـ فوافق وانضم مدرسا في هذه المدرسة مع ثلة من رجالات الكويت ، وبدأ يحصل على

راتب شهري يساعده في الصرف على عائلته في ذلك المجتمع الفقير ماديا آنذاك . واستمر في التدريس حتى عين ناظراً للمدرسة المباركية فتشاور مع زميله الشيخ يوسف بن عيسى (المسؤول الأول عن المباركية) بشأن تطوير مناهجها لتشمل الجغرافيا والعلوم العصرية واللغة الإنجليزية ، وهو الموضوع الذي كان يشغل بال الشيخ يوسف منذ مدة ، غير أن أمر تطوير منهج المباركية لم يكن من الأمور السهلة ، وبخاصة أن لهذه المدرسة مجلسا يقوم على إدارتها مكونا من شخصيات كبيرة في المجتمع ، وكان أغلبهم محافظا يخشى من إدخال مثل هذه العلوم أو اللغات الأجنبية التي من شأنها (كما كانوا يظنون) أن تفسد عقائد الطلبة ، لذا باءت محاولات الشيخ يوسف والشيخ عبدالعزيز وغيرهما من المصلحين بالفشل .

وحدث أن حصل خصام بين مجموعة من المدرسين في المباركية وبين إدارتها فكان أن قرر الشيخ عبدالعزيز والأستاذ عبدالملك الصالح ترك التدريس في المباركية وافتتاح مدرسة خاصة بهم يدرس فيها الطلبة العلوم العصرية واللغة الإنجليزية ، وعرفت هذه المدرسة بالعامرية نسبة إلى المكان الذي احتلته وهو ديوان آل عامر في حي الوسط القريب من المدرسة المباركية ، فأصبحت هذه المدرسة أفضل منهاجا من المباركية وانضم إليها العديد من المدرسين الذين كانوا في المباركية .

وفي أحد الاجتماعات في ديوان السيد خلف باشا النقيب حيث تجمع كبار شخصيات الكويت من تجار وعلماء دين ومصلحين اشتكى الشيخ يوسف بن عيسى من الصعوبات التي وجدها أمامه حين قرر تطوير منهج المدرسة المباركية ، وعن معارضة مجلس إدارة هذه المدرسة لإدخال تعليم اللغة الإنجليزية والعلوم العصرية فيها .

فقام الشيخ عبدالعزيز الرشيد وأبدى رأيه في الموضوع هذا قائلا :

«لماذا نختلف مع قومنا حول هذا الموضوع؟ لماذا لا نؤسس مدرسة جديدة وسوف لن يتأخر أحد منا في مساندتها؟» لقد كانت هذه الفكرة حسنة أعجبت الحضور في ذلك الجمع من رجالات الكويت فقاموا في الحال بجمع الإعانة المادية لها وأوكلوا للشيخ يوسف بن عيسى مهمة طرحها على حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر الصباح ، الذي وافق على إنشائها بل والتبرع لها على الرغم

من حرصه على عدم إثارة المعارضين الذين كانوا يخشون على عقائد الطلبة من جراء تدريسهم العلوم العصرية واللغات الأجنبية ، وهكذا ظهرت المدرسة الأحمدية للوجود عام ١٩٢١ وعين مسؤولا عنها الشيخ يوسف بن عيسى الذي أقنع الأستاذ عبدالملك الصالح ـ ناظر مدرسة العامرية ـ بالانضمام إلى المدرسة الأحمدية كناظر لها هو مع تلاميذه . فأصبح الأستاذ عبدالملك الصالح ناظرا لهذه المدرسة الجديدة يساعده في التدريس كل من الشيخ عبدالعزيز الرشيد (تطوعا) وثلة من المدرسين الكويتيين المخلصين . وأصبحت تدرس الجغرافيا واللغة الإنجليزية إضافة إلى القراءة والكتابة والحساب ، وذلك لأول مرة في تاريخ الكويت التعليمي .

ولكن المعارضين لتدريس هذه المواد في المباركية عارضوا تدريسها في الأحمدية ، وأسموها «المدرسة النصرانية» ، ولكن هذا لم يؤثر في عزيمة الشيخ يوسف بن عيسى والشيخ عبدالعزيز الرشيد اللذين حظيا بدعم مادي ومعنوي من الشيخ أحمد الجابر ـ حاكم الكويت ، فكان لهذه المؤازرة ولهذا التشجيع أكبر الأثر في نجاح هذه التجربة التعليمية الرائدة في الكويت آنذاك .

ولكن الشيخ عبدالعزيز لم يكتف بالتدريس في الأحمدية ، بل كان يراسل العلماء العرب خارج الكويت ، وكان أحد هؤلاء السيد محمد رشيد رضا الذي استلم رسالة من الشيخ عبدالعزيز يشتكي له فيها من معارضة بعض أهل الكويت للقول بأن الأرض كروية ، ويعدون من يعتقد بهذا كافرا فحرك هذا القول السيد رشيد رضا الذي بعث برسالة جوابيه للشيخ عبدالعزيز الرشيد يذكره بأن أهل مصر كانوا قديما يعتقدون بأن الأرض مسطحه ، ولكن الغريب في هذا الأمر (كما أوضح السيد رشيد رضا) أن أهل الكويت مازالوا يعتقدون بأن الأرض مسطحه على الرغم من أن علماء الإسلام قد ناقشوا هذا الموضوع منذ القدم وأقروا بحقيقة كروية الأرض ، فشجعت هذه الرسالة الشيخ عبدالعزيز على كتابة رسالة علمية حول هذا الموضوع (علم الهيئة) الذي يقارب علم الجغرافيا والفلك هذه الأيام وأسماها «الهيئة والإسلام» ، حاول فيها أن يبين أن الإسلام لا يتعارض مع العلم الذي يقول بكرويه الأرض استنادا إلى أقوال علماء الإسلام الذين تعرضوا لهذا الموضوع . ولو أن مخطوط هذه الرسالة (الذي يظهر أنها لم تطبع) سلم من الضياع لعرفنا من خلاله مستوى

الشيخ عبدالعزيز العلمي والبراهين التي ساقها حول إثبات كروية الأرض وعدم تعارضها مع الشريعة الإسلامية .

ولكن تعليم اللغة الإنجليزية كان كذلك مشكلة لأقطاب التعليم في الكويت ، إذ إن هناك من كان يعتقد أن تعليم الإنجليزية يعرض الطلبة للكفر لذا قرر الشيخ عبدالعزيز أن يرد على هذا الرأي برسالة علمية أسماها «الدلائل البينات في حكم تعلم اللغات» . كتبها عام ١٩٢٣ وطبعها في مطبعة المنار في مصر عام ١٩٢٦ أتى فيها بالدلائل الشرعية التي تجيز للمسلم تعلم اللغات الأجنبية ، فكان بذلك يرد على اتهام بعض رجالات الدين في الكويت للمدرسة الأحمدية بأنها تدرس «الكفر والإلحاد» .

ولم يكتف الشيخ عبدالعزيز بهذه الرسالة ، بل كتب رسالة أخرى تعتبر أول عمل شبه مسرحي شهدته الكويت ، لقد أراد أن يرد على المناهضين للمدرسة الأحمدية بحوار طلابي مسرحي يقوم بعض طلبة الأحمدية بأدائه أمام جمع غفير من رجالات الكويت ، وأمام حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر . ففي عام ١٩٢٤ أقيم احتفال كبير في ديوان السيد خلف باشا النقيب لاختبار طلبة المدرسة الأحمدية ، وكان اختبارا شفويا يجيب فيه الطلبة عن الأسئلة الموجهة إليهم شفويا أمام الحضور ، وكانت هذه الطريقة حسب ظن الشيخ عبدالعزيز وزملائه في الأحمدية «تكسب الطالب الشجاعة» وتعوده على مجابهة الجمهور . ولقد بدأ الاحتفال بخطبة ألقاها الشيخ عبدالعزيز أمام الحضور قال فيها «إن من أدواء المسلمين التي أنهكت قواهم وأخرتهم في ميدان الحياة ، هو فساد علماء الدين . . . » تلى هذه الخطبة قيام مجموعة من الطلبة بتمثيل دورهم حسبما جاء في هذه التمثيلية التي دعاها الشيخ عبدالعزيز «بالمحاورة الإصلاحية» ، والتي كان أحد الطلبة يرد فيها على من وقف في وجه تعليم العلوم العصرية ويسفه أقواله .

ولعل قيام مثل هذا العمل في الكويت آنذاك لدليل على سعة أفق تلك المجموعة من المصلحين المتزعمين لنهضة الكويت التعليمية .

هذا فيما يخص جهود الشيخ عبدالعزيز التعليمية ، ولكنه كان شخصية متعددة الاهتمامات . فمع كونه رجل دين متسامحا نسبيا ـ على الرغم من نشأته الدينية المحافظة ـ كان كذلك من عشاق الأدب والشعر ، وكان شاعرا كذلك ،

وهذا ماربط بينه وبين كبار شعراء الكويت آنذاك مثل الشاعر خالد الفرج والشاعر صقر الشبيب الذي بدأ الشيخ عبدالعزيز الاتصال به منذ عودته للوطن واستمر يحفظ له واجب الصداقة حتى وفاته . فكان الشيخ عبدالعزيز يزور صديقه الشاعر الضرير صقر الشبيب مساء كل خميس ، ويتباحث معه في الأدب والشعر وفي نهضة الكويت الموعودة الاجتماعية والتعليمية يشاركهم ثلة من الأدباء الكويتيين مثل الشاعر الأديب أحمد خالد المشاري والشاعر الأديب حجي بن جاسم الحجي . ولقد كانت فرحة الشاعر صقر بهذه المجموعة من أدباء وشعراء الكويت كبيرة نظرا لأنهم لا يرون في شعره إلحاداً ولا يكفرونه ولا يعدونه متمرداً على التقاليد ، بل يقدرون ظروفه وحالته النفسية والاجتماعية وهو الشاعر الضرير . ففي ذات يوم دعا الشاعر صقر صديقه الشيخ عبدالعزيز لزيارته في منزله ، ولما وصل قدم له الشاي وأتبع هذا بقصيدة عبر فيها عن شعوره تجاه صديقه الشيخ عبدالعزيز بهذه الأبيات :

إذا ما زارني شرواه ألفى
تخوف ذنب تقصيري أمانا

ولم لا وهو أرجحنا حجاء
وأسمحنا وأذكانا جنانا

فأهلا يا ابن أحمد ثم أهلا
وسهلا يا أعز أخ غشانا

رأت منه الكويت فتى صريحا
فعادته لألفتها الدهانا

وما تصفو قريحة من يقاسي
دواما بكر حزن أو عوانا

كذلك ربطت الشيخ عبدالعزيز صداقة بالشاعر خالد الفرج ، فقد كان الشيخ عبدالعزيز معجبا بهذا الشاعر ، وقد نشر له شيئا من شعره وأعماله الأدبية ، كما كانت بينهما مراسلات حين استقر الشيخ عبدالعزيز في البحرين فترة من الزمن (كما سيأتي لاحقاً) .

وحين تم افتتاح النادي الأدبي ـ أول ناد من نوعه في الكويت ـ عام ١٩٢٣ وهو الذي أسسته مجموعة من أدباء الكويت وشبابها الغيور ، أثلج هذا العمل صدر الشيخ عبدالعزيز الذي شارك في افتتاح هذا النادي وألقى فيه بعض الخطب التشجيعية أظهر فيها تمكنه من هذا الفن ـ فن الخطابة .

فكان قويا ومؤثرا حسب وصف الشيخ عبد الله الجابر الصباح له حين كان رئيسا لهذا النادي الفني ، كما تبرع بالتدريس في هذا النادي عن طريق إلقاء بعض الدروس فيه كل مساء ، وكان يمارس التعليم صباحا في المدرسة الأحمدية .

وحين زار الكويت الرحالة الأديب أمين الريحاني في مارس عام ١٩٢٣ كانت فرحة الشيخ عبد العزيز وزملائه كبيرة ، فقد أقاموا احتفالا على شرف هذا الضيف الذي قدم إلى البلاد من نجد ، فانبرى الشيخ عبد العزيز إلى تقديمه للحضور قائلا : «آتنا من فرائدك» . ولقد أعجبت الريحاني النهضة الأدبية في الكويت ، فكتب يقول في كتاب (ملوك العرب) : «إنه مهما كان من أمر الكويت ومشاكلها التجارية والسياسية ، فإن فيها غير التجارة ثروة ، وغير اللؤلؤ كنزا ، فيها ذكاء وجرأة وأدب ، شاهدت منه نماذج جميلة في الحفلات التي أقيمت هناك وفي المجالس» .

كما زار الكويت الشيخ أمين الشنقيطي ، فأقام له النادي الأدبي الكويتي حفل تكريم شارك فيه الشيخ عبدالعزيز الذي كانت تربطه بهذا المصلح والمربي الكبير صداقة متينة ، فكان يصحبه معه في زيارات إلى العديد من علماء الدين والإصلاح في الكويت .

غير أن الزيارة التي أثلجت صدر الشيخ عبد العزيز الرشيد وغيره من أدباء الكويت ورجالاتها هي زيارة الزعيم العربي عبد العزيز الثعالبي (الجزائري الأصل التونسي النشأة) للكويت عام ١٩٢٥ كجزء من رحلته الشهيرة في الجزيرة العربية والهند . لقد احتفت الكويت بهذا الزعيم الكبير وأقيمت له الحفلات التكريمية والخطب ، وألقيت فيها القصائد الشعرية التي منها هذه الأبيات للشيخ عبدالعزيز الرشيد :

إن الكويت تزينت بقدومكم
يا زينة الأقران والأبطال

انظر إليـــهـــا قـــد بدت في وشـــيـــهـــا
تمشي ابتـــهـــاجـــا مـــشـــيـــة المختـــال
حظيت بعـــيـــد يوم زرت ربوعـــهـــا
وزيـارة الأبطال عـــيـــد غـــالي
فـي كـل نـاد مـن نـوادي أهـلـهـــا
خـــبـــر يســـر عن الزعـــيم العـــالي

ولقد ظلت العلاقة بين الشيخ عبد العزيز والزعيم الثعالبي قوية مدة طويلة بعد هذه الزيارة ، وكانت المراسلات بينهما لا تنقطع . فقد كان الشيخ عبد العزيز والزعيم الثعالبي وغيرهما من مختلف الشخصيات في الكثير من بلدان العالم العربي يمثلون ما كان يسمى آنذاك «بالجامعة العربية» ، وهي مجموعة كانت تحلم بمستقبل أفضل للعرب بعد تحررهم من الاستعمار بغض النظر عن عقائدها الدينية ، ولقد كان الزعيم الثعالبي والسيد شكيب أرسلان والسيد محمد رشيد رضا بعضا من كبار هذه المجموعة ممن يمثل هذا التطلع العربي الواعد .

ولم يكتف الشيخ عبد العزيز الرشيد بهذا ، بل بعث بمقالتين عن زيارة الزعيم الثعالبي للكويت نشرتهما جريدة «الشورى» المصرية في عدديها ٤٠ و ٤١ ذكر فيهما مقتطفات من الخطاب الذي ألقاه الزعيم الثعالبي في الحفل الذي أقيم له في الكويت .

وفي الوقت ذاته كان الشيخ عبد العزيز الرشيد يواصل الكتابة لأصدقائه في الشام والعراق ، فقد كان على اتصال بعلامة الشام جمال الدين القاسمي وبالعالم محمد بهجة البيطار وغيرهما من علماء الشام ، كما كان على اتصال بصديقه وزميله في بغداد الشيخ محمد بهجة الأثري وهو من تلاميذ السيد محمود شكري الألوسي أيضا ، إضافة إلى السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» المشهور .

ولقد كان الشيخ عبد العزيز مولعا بقراءة الصحف التي كانت تصل الكويت من مصر والعراق إلى كبار تجار الكويت مثل آل خالد وشملان بن علي والشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، وكان يجتمع مع ثلة من الأدباء في ديوان صديقه أحمد خالد المشاري للتحدث في شتى المواضيع الأدبية والاجتماعية ، كما

أصبح وكيلا في جريدتي «الشورى» و«الفتح» في الكويت ، وكان يجمع الاشتراكات لهاتين الجريدتين ويرسلها إلى مصر ، كما كان يرسل المقالات إلى العديد من صحف العراق ومصر لنشرها مثل مجلة «اليقين» العراقية ومجلة «الهلال» المصرية ، فقد ظهرت له مقالات في كلتا هاتين المجلتين .

فحين نشرت له مجلة «الهلال» مقالته عن الغوص على اللؤلؤ في الكويت وعنوانها «من أعماق البحار إلى صدور الحسان» (عدد مارس ١٩٢٥) أعجب بها شيخ العروبة في مصر الأستاذ أحمد زكي باشا ووصفها بأنها «مقالة ممتعة» ، وطلب من الشيخ عبد العزيز أن يفيده عما إذا كان ميناء دارين السعودي قد اشتهر بحرفة الغوص على اللؤلؤ إضافة إلى شهرته بتجارة المسك ، فرد عليه الشيخ عبد العزيز بما يلي :

«لي الفخر أن أجري قلمي بما ينتظره مني الأستاذ المحقق أحمد زكي باشا . نعم لي الفخر بذلك لأني أعد انتظاره الكتابة مني عن دارين وعن حالها ، مع كونه تنازلا من سعادته ، هو ضرب من التشجيع لي» .

هذا كان رد الشيخ عبد العزيز على تساؤل شيخ العروبة ، وهو بالتأكيد رد بعيد عن المجاملة ، إذ إن الشيخ عبد العزيز كان يعرف مكانة هذا الزعيم العربي الذي كان جزءا من «الجامعة العربية» وكان من أنصار وحدة العرب وتقدمهم . ولقد بيّن الشيخ عبد العزيز في رده هذا أن أهل دارين عملوا بالفعل في حرفة الغوص على اللؤلؤ والتجارة فيه ، وأن قليلا من أهلها قد فتح الدكاكين والحوانيت للبيع والشراء . كما ذكر أن ميناء دارين يمتاز بساحله الذي لا يعلوه الماء في حالة المد العالي إلا القليل مما يوفر مكانا مثاليا لإصلاح سفن الغوص التي كانت تتردد عليه أثناء موسم الغوص في شهور الصيف الحارة .

ولم يكن الشيخ عبد العزيز غافلا عن نجد وما كان يجري فيها ، فلما سمع عن الإصلاحات التي بدأ بها الملك عبد العزيز فيها استبشر بها خيرا وبعث له بقصيدة عام ١٩٢٣ منها هذه الأبيات :

هل لداعي الإصلاح شهم مجيب
أم لداء الفساد ثم طبيب

هل حكيم يرد كل اعتلال
وله في القضاء رأي مصيب

ثم يقول :

أيهـا السـائل الملحّ رويدا
إن هذا الإلحاح شيء عجيب
ليس هذا الذي تفتش عنه
وبه الوقت والزمان يطيب
غير عبد العزيز (سلطان) نجد
من له العز والفناء الرحيب

ولعل هذه القصيدة باكورة قصائد الشيخ عبد العزيز في مدح هذا الملك الشاب الذي بدأ يستحوذ على قلوب الشباب ويمدهم بالأمل ، وبخاصة الشيخ عبد العزيز الرشيد الذي سيكون من أكبر أنصار الملك عبد العزيز كما سنعرف ذلك لاحقا .

كانت هذه نبذة عن دور الشيخ عبد العزيز الرشيد في الحركة الثقافية في وطنه الكويت منذ عودته إليه عام ٩١٣ وحتى عام ١٩٢٥ ، أي قبل عام من كتابته لأول تاريخ لوطنه ، وهو العمل الذي خلده على مر السنين ، وهو موضوع الفصل القادم .

كتاب تاريخ الكويت
نظرة نقدية

بينما كان الشيخ عبد العزيز الرشيد طرفا في الصراع بين القديم والجديد الذي أخذ يحتد في كويت العشرينيات من القرن العشرين ، وقد أخذ منه التعب والجهد الشيء الكثير وهو يحاول التصدي للتيار المحافظ ومن كان يسنده من علماء دين ، كان يواصل اجتماعاته بغيره من طبقة المتنورين من الشباب الذين كانوا يتطلعون إلى الارتقاء بالمستوى الثقافي والاجتماعي في الكويت . ولقد بدا له أن من الواجب كتابة تاريخ وطنه قبل أن يطويه النسيان ، وبخاصة أن الكويت قد مر عليها ما يزيد عن القرنين ولم يكتب لها تاريخ بعد ، فكتابة تاريخ الكويت كان إذا «أعظم خدمة يقوم بها الوطني لوطنه ، وأنفس هدية يقدمها لأبناء جلدته» حسب رأي الشيخ عبد العزيز آنذاك . فلما بحث هذا الموضوع مع زملائه وجد أنهم يعولون عليه في كتابة مثل هذا التاريخ ويشجعونه ويعدونه بالمساعدة ، فاستخار الله وعزم على البدء في هذا الطريق الوعر والشائك .

بدأ الشيخ عبد العزيز بجمع ما استطاع جمعه من الحوادث التي مرت بها الكويت عن طريق الاستماع (الشفاهي) لبعض رواة التاريخ من الثقات من أهل الكويت ، وقام بترتيبها وعرضها على زملائه للاستئناس برأيهم ، وكان أحد هؤلاء الأديب هاشم الرفاعي الذي لاحظ بسهولة خلو العمل هذا من الوثائق الرسمية التي تضبط الحوادث ضبطا تاما وتوثقها توثيقا علميا ، فكتب للشيخ عبد العزيز رسالة بهذا الخصوص تدل على مستوى هذا الأديب ومقدار فهمه الكبير لكتابة التاريخ . وكان من ضمن ما جاء في هذه الرسالة الطلب من الشيخ عبد العزيز أن يستعطف الشيخ أحمد الجابر ـ حاكم الكويت ـ برسالة حتى يسمح له بالاطلاع على الوثائق الرسمية المحفوظة في ديوانه ، والتي تمثل مراسلات حكام الكويت مع الحكومة البريطانية وغيرها من الدول . فكان أن نبهت هذه الرسالة الشيخ عبد العزيز إلى أهمية الوثائق الرسمية فقام وخط رسالة إلى الشيخ أحمد يطلب فيها منه أن يسمح له بالاطلاع على الوثائق الموجودة في الديوان الخاص بحاكم الكويت ، فجاءت الموافقة على هذا الطلب من الشيخ أحمد ومعها التشجيع للشيخ عبد العزيز الرشيد لمواصلة كتابته لتاريخ الكويت . ولما أتم كتابة هذا التاريخ سافر إلى بغداد لطباعته هناك بعد أن حصل على

مكافأة مالية من الشيخ أحمد الجابر نتيجة لقيامه بمثل هذا العمل الوطني . ولما وصلت نسخ من هذا التاريخ ـ «تاريخ الكويت» إلى الكويت قرأه البعض وانتشر خبره في الدواوين فثارت حوله ضجة كبيرة وجدل لم تشهد الكويت له مثيلا من قبل ، وقام ضده بعض الناس وطالبوا بمصادرته أو إحراقه ، كما طالبوا الشيخ أحمد الجابر بمعاقبة كاتبه نظرا لأنه ذكر بعض شيوخ الدين في الكويت بما لا يشتهون ـ بل إنه شنع بهم على صفحات هذا التاريخ ، فكان أن انقلبت فرحته إلى حزن ، وتم حجز «التاريخ» في جمرك الكويت البحري وقام حوله جدل كبير ، فتحزب له البعض ونقم عليه البعض الآخر ، فكانت تجربة جديدة للطبقة المتعلمة في ذلك المجتمع البسيط عام ١٩٢٦ .

نظرة موضوعية « للتاريخ»

لا بد في البدء بالتذكير بأن جمع المعلومات والحقائق التاريخية والتأكد من صحتها هو في حد ذاته ليس تاريخا ، بل إن الحقائق والمعلومات هذه تشبه التحف النادرة (على حد تعبير أحد نقاد التاريخ) ، ولكن التاريخ الحقيقي هو ما يفرزه عقل الكاتب من خلال استخدامه هذه الحقائق والمعلومات التاريخية مضيفا عليها شيئا من تحليلاته وعلمه بمادته وتمكنه منها واطلاعه الواسع على ما كتب حول موضوعه من كتابات موثوقة ، هذا بالإضافة إلى تمكن الكاتب من اللغة التي يكتب بها ومن أدوات وأساليب البحث العلمية ، إضافة إلى العديد من الصفات الموضوعية والظروف الملائمة التي يجب أن يمر بها الكاتب خلال كتابته للتاريخ . ومع أنه يصعب فصل التاريخ عن كاتبه فصلا تاما إلا أن التاريخ الحق هو الذي لا يعتمد على شخص من كتبه من حيث صحته وموضوعيته وصدقه . فأيا كان كاتب التاريخ لا بد من توجيه النقد لمادة التاريخ ذاتها وللمنهجية المتبعة في كتابته . كما يجب أخذ الزمن الذي كتب فيه التاريخ بالاعتبار حين محاولة نقده ، فلا يجوز أن نطبق معايير الحاضر على الماضي ، ولا أن نتجاهل الوضع العلمي والمستوى الثقافي للبلد الذي كتب فيه التاريخ . هذه

بعض النقاط التي يجب أن تذكر هنا قبل البدء في نقد كتاب «تاريخ الكويت» للشيخ عبد العزيز الرشيد .

لعل أول ما يلفت الانتباه حول كتاب «تاريخ الكويت» للشيخ عبد العزيز الرشيد أن مؤلفه بدأ من الصفر ، إذ لم يكن لديه أي أثر عن تاريخ الكويت لكي يطلع عليه ويبدأ منه رحلته في كتابة التاريخ «من حيث ما هو معروف إلى ما هو مجهول» . ولعل هذا من سوء حظ الكاتب على الرغم من أن هذا الغياب لأي أثر كتب من قبل قد يتيح له بعض العذر حين يعرض نتاجه على الناس . فالحالة الاجتماعية والتعليمية في الكويت آنذاك كانت متواضعة ، ولم تكن على درجة كبيرة من الرقي بحيث يظهر فيها البحاثة بأساليبهم العصرية أو النقاد باطلاعهم الواسع وعمق نظراتهم في شؤون التاريخ ، فقد كانت الأرض مسطحة عند الكثير من العلماء الدينيين في الكويت ، وكان تعلم اللغة الإنجليزية يعد كفرا عند بعضهم ، كما أن الضرب على الآلة الكاتبة لم يكن يحسنه إلا القليل من الرجال ، وأما الورق الصالح للكتابة فقد كان يستورد من الهند ، ولم يكن من السهل الحصول عليه ، أما الأمية فقد كانت منتشرة عند عامة الناس وبخاصة عند النساء .

نجد بعد هذا أن كتاب «تاريخ الكويت» هو خليط من عدة تواريخ . فجزء منه عبارة عن تأريخ لحكام الكويت ، وجزء آخر منه هو تأريخ للنهضة الأدبية والفكرية في الكويت ، هذا بالإضافة إلى نبذة عن تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وعن جغرافية الكويت كذلك . ومع أن هذا الكتاب رائد في هذه المناحي التاريخية إلا أنها تواريخ ناقصة يحتاج كل نوع منها إلى جزء مستقل بذاته ، وحبذا لو كان المؤلف أكثر تفصيلا في كتاباته .

ولم يكن المؤلف (الشيخ عبد العزيز الرشيد) قد درب أصلا على أساليب البحث والتوثيق الحديثة ، ولم تكن لديه الفرصة أصلا للتدرب على هذه الأساليب ، لقد كانت جهوده في هذا المجال شخصية ، ولذلك نجد أنه لم يعر أمر الوثائق الرسمية أي اهتمام في بداية كتابته لهذا التاريخ ، بل اعتمد على النقل والبحث الشفاهي (الرواية) كمصدر أساسي لهذا التاريخ ، ولكنه عرف قيمة

الوثائق الرسمية حين تم له الاطلاع عليها فاستفاد منها في كتابته ، وقاده هذا إلى البحث في كل ما استطاع الحصول عليه من وثائق . لذا نراه يورد ما قالته جريدة التايمز الهندية (Times of India) عن معركة الجهرة وما كتبه السيد محمد رشيد رضا في مجلته (المنار) عن لقائه بالشيخ مبارك الصباح حين قابله في الكويت عام ١٩١٢ ، بالإضافة إلى اعتماده على العديد من المصادر المعروفة عن تاريخ نجد وتاريخ الجزيرة العربية بصفة عامة .

غير أن الوثائق البريطانية التي كانت ستساعده كثيرا في مهمته الصعبة هذه لم تكن متوفرة له كما هي متوفرة لنا اليوم ، ولو كانت متوفرة له آنذاك فلربما وجد من الصعوبة الاطلاع عليها ، لذا نجده يذكر خطأ أن رئيس الخليج الكولونيل بلي (Pelly) لم يستطع دخول الرياض للقاء الإمام فيصل آل سعود ، والحق أنه دخل الرياض وقابل هذا الإمام .

أما منهجه في جمع المعلومات والحوادث فقد حاول فيه أن يستخلص الحقائق من أفواه الرواة ، ولكنه اضطر إلى تبيان ما كان يراه ضعيفا منها ، مما لا يسلم منه أي كاتب يعتمد على المصادر الشفاهية في كتابته ، مما يجعل الكاتب في حيرة من أمره ، أيها يبرزه وأيها يتجنبه . ولعل أبرز ما يجده القارئ لهذا «التاريخ» هو صراحة المؤلف غير العادية ، وبخاصة حين تناوله لسير حكام وأمراء الكويت . ولولا الشجاعة الأدبية التي تحلى بها مؤلف «تاريخ الكويت» لما استطاع أن يضع الشيخ مبارك الكبير في الميزان ، ذاكرا الكثير من صفاته الحسنة والسيئة كذلك . ولعله من الإنصاف أن نذكر أن الشيخ عبدالعزيز كان يتمتع بجو فيه حرية ، ولكنها حرية نسبية ، ومع ذلك فقد كتب عن حكام الكويت بجرأة قد لا تتوفر حتى لكتاب التاريخ في الكويت هذه الأيام . ومع ذلك فقد أراد أن ينبه القارئ إلى أنه كان يود الحصول على حرية أكبر حين أورد البيت التالي في مقدمته «للتاريخ» :

في فمي ماء وهل ينـــــطق من في فيه ماء؟

إن مجرد ذكر هذا البيت في مقدمة كتاب «تاريخ الكويت» عام ١٩٢٦ لدليل على مقدار الشجاعة التي كانت لدى الشيخ عبدالعزيز الرشيد .

ولكن الشيخ عبدالعزيز لم يفصل لنا في تاريخه هذا الظروف التي أحاطت بتولي الشيخ أحمد الجابر الحكم بعد وفاة عمه سالم . فقد أورد الأستاذ سيف مرزوق الشملان في كتابه «من تاريخ الكويت» وثيقة بخط الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، وهي رسالة منه إلى صديقه شملان بن علي آل سيف ذكر فيها تفاصيل عن وفاة الشيخ سالم الصباح ، وبيّن فيها أن جماعة من كبار رجالات الكويت اجتمعوا في ديوان البدر وتعاهدوا على كلمة توحدهم إزاء ما رأوه من إصلاحات يجب أن يأخذ بها آل صباح حتى لا يجري بينهم خلاف على الحكم في المستقبل .

كما أتبع الأستاذ سيف الشملان هذه الرسالة بعريضة موقعة من بعض رجالات الكويت ، تتضمن كسابقتها الدعوة إلى إصلاح أمور الحكم داخل أسرة الصباح ، حتى لا يحدث بينهم أي خلاف في المستقبل . فلم لم يذكر الشيخ عبدالعزيز هذه الوثيقة في تاريخه؟ لقد كان الشيخ عبدالعزيز تربطه صداقة قوية بالشيخ أحمد الجابر ، ولكن هل كان ذكر هذا الاجتماع في كتاب «تاريخ الكويت» يزعج الشيخ أحمد الجابر حقا؟ إن تجاهل الشيخ عبدالعزيز لهذا الاجتماع يدعو بالطبع إلى التساؤل على الرغم من أنه ذكر في مقدمة تاريخه أن «حرية تامة في محيط الشرق لا مطمع فيها . . . ولكن تترك أمور لأمور . . .» .

كذلك فإن ما يلفت الانتباه في هذا التاريخ (على الرغم من القصور الذي يراه البعض فيه) أن كاتبه كان يبرز الرأي والرأي المضاد له تحسبا لنفع القارئ . فحين تكلم عن الشقاق بين الشيخ سالم الصباح والملك عبدالعزيز آل سعود ذكر ما قاله أنصار الشيخ سالم في الملك عبدالعزيز ، كما ذكر ما قاله أنصار الملك عبدالعزيز في الشيخ سالم ، كما قال عن معركة الجهرة التي شارك فيها بأنها كانت «لنا وعلينا» ، وهذه كلمات قليلة تدل على موضوعية غير معهودة لدى كل من كتب عن هذه المعركة من الكتاب الأولين .

ومع أن الشيخ عبدالعزيز في كتابه هذا حاول أن يتجنب فرض النتائج وإصدار الأحكام القاطعة ، إلا أن كتابه هذا لم يخل من آراء شخصية ما كان ينبغي له أن يذكرها في هذا التاريخ ، مثل حديثه عن أسباب طرد الشيخ سالم للعالم الديني

محمد الشنقيطي من الكويت . فقد كتب يقول «إن هذه الحادثة أعظم سيئاته ، سيما والأستاذ لم يأت ما يستحق عليه هذا العقاب الفظيع . .» ، لقد غلبت عاطفة الشيخ عبدالعزيز الدينية على موضوعيته هنا ، وحبذا لو اكتفى بذكر الحادثة ولم يطرح وجهة نظره فيها .

ثم إن الشيخ عبدالعزيز لم يورد للمرأة في الكويت أي ذكر في كتابه هذا على الرغم من أن المرأة في الكويت القديمة كانت تقوم بدور كبير في ذلك المجتمع الملاحي الذي اعتمد رجاله على الغوص والسفر الشراعي معظم شهور السنة . ولو أنه أفاض في الحديث عنها وعن دورها الاجتماعي الكبير في الكويت آنذاك لكان في هذا خدمة كبيرة لتاريخ الكويت الاجتماعي يستفيد منها الباحثون هذه الأيام .

وأما اعتماد الشيخ عبدالعزيز على ذكر التواريخ الهجرية دون الميلادية في كتابه هذا فقد جعل الأمر صعبا على الباحثين هذه الأيام حين يحاولون تحويل التاريخ الهجري إلى التاريخ الميلادي وما يرافق ذلك من خطأ في الشهور وربما في السنوات .

غير أن الخطأ الكبير الذي ارتكبه الشيخ عبدالعزيز بحق «تاريخه» هو تهجمه في كتاب للتاريخ على مجموعة من علماء الدين الكويتيين الذين كان يختلف معهم في الكثير من الأمور الدينية والدنيوية . . إن ما أورده الشيخ عبدالعزيز تشهير لا يليق بهم ـ وهم الذين كانت لهم منزلة كبيرة عند جمهور العامة وعند بعض كبار التجار في الكويت ـ أذهب ببعض محاسن هذا التاريخ وعرض كاتبه للتهديد والوعيد ، وجر عليه من العداوات ما كدر خاطره ومنع القسم الثاني من التاريخ من الظهور ، فكانت الخسارة كبيرة والمردود قليل . ولعل الشيخ عبدالعزيز أدرك خطأه بعد أن أحس بردة فعل البعض عليه وعلى تاريخه فلزم الصمت حين قامت قيامة بعض الناس عليه ، ولولا تدخل الشيخ أحمد الجابر والشيخ يوسف بن عيسى في هذا الأمر لحدثت له أمور لا تحمد عقباها . ولقد كان باستطاعة الشيخ عبدالعزيز كتابة مقالة في إحدى الصحف المصرية أوالعراقية عن علماء الدين هؤلاء فيرد عليه من يرد منهم ، ولكنه أورد مثل هذه

المقالة في كتاب مخصص لتاريخ الكويت ، فكان ما كان .

والخلاصة . . إن كتاب «تاريخ الكويت» بجزأيه الأول والثاني يعتبر بداية طيبة لا غنى عنها لكل مهتم بتاريخ الكويت . وهو إن لم يكن كتاب تاريخ بالمعنى الذي نفهمه هذه الأيام ، إلا أنه مصدر مهم لكتابة تاريخ الكويت أو ما يطلق عليه (Source Book) ، ولعل أسلوب كاتبه المختصر المفيد حرم كتاب التاريخ هذه الأيام من الكثير من التفاصيل المتعلقة بحياة أهل الكويت في الماضي .

بيد أنه من الإنصاف أن نقارن بين جهود الشيخ عبدالعزيز في كتابه تاريخ الكويت في عام ١٩٢٦ بجهود الدكتور أحمد أبو حاكمة في كتابه «تاريخ الكويت الحديث» الذي كتبه في السبعينيات من القرن العشرين ، وهو الدكتور المتخصص في كتابة التاريخ وأساليبه . ففي معرض نقده لهذا التاريخ نجد أن الباحث المحقق الشيخ حمد الجاسر في مقالة له نشرتها مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية في عددها السادس (أبريل ١٩٧٦) يأخذ على الدكتور أبو حاكمة العديد من المآخذ منها ما يلي :

أ ـ أن الدكتور أبو حاكمة لم يرجع إلى الوثائق التركية في كتابه على الرغم من أهميتها في مجال تاريخ الكويت .

ب ـ أنه اعتمد على مصادر لا تخلو من الأخطاء العلمية والكذب أحيانا .

ج ـ هناك عدم اتزان في عرضه للمادة من ناحية الكم والموضوع .

د ـ وصف حكام بني خالد بأوصاف غير واقعية أو صحيحة عنهم .

هـ ـ أن بعض مباحثه لا يستند إلى أصول البحث التاريخي .

و ـ لم يذكر كاظمة وتاريخها مع أنها جزء من الكويت .

ز ـ أنه يجزم بأن آل صباح من قبيلة عنزة مع أن هذا الأمر غير مسلم به ، كما أن ما أورده من تاريخ لهجرتهم من نجد يعتريه الخطأ .

ح ـ أنه كان محتارا في تحديد وفاة الشيخ عبدالله بن صباح مع أن المؤرخ النجدي بن بشر قد حدد وفاته باليوم والشهر والسنة .

ي ـ أنه خطأ الشيخ عبدالعزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى في معرض ذكرهم لوفاة قاضي الكويت بن فيروز ، غير أن تاريخ وفاة هذا القاضي الذي

ذكره أبو حاكمة هو الخطأ بينما الصحيح ما ذكره الشيخان .

إن النظرة الموضوعية لكتاب «تاريخ الكويت» للشيخ عبدالعزيز الرشيد تدلنا على أن هذا الكتاب مصدر مهم من مصادر التاريخ . فإذا كان كل أثر أدبي عرضة للأيام والسنين تفعل به فعلها فيصمد إن كان ذا نفع للناس أو يصبح في زوايا الإهمال ، فإن هذا الكتاب بقي صامدا على مر السنين بحيث أصبح مرجعا لكل باحث في تاريخ الكويت . ولو أن كاتبه ترفع عن التعرض لأمور خاصة بينه وبين بعض الناس في هذا التاريخ ، لما كان على كاتبه من غبار لوم ولا تثريب ، ولكن العصمة لا تتاح لبشر .

ولعل ما ذكره الأستاذ عبدالله الحاتم عن هذا التاريخ في كتابه «من هنا بدأت الكويت» يلخص شعور معظم الناس حول هذا التاريخ ، فقد قال إنه على الرغم من القصور الذي يراه النقاد في هذا الكتاب ، «إلا أن هذا لا يمنعنا من الاعتراف بما لهذا الكتاب من قيمة كبيرة ، وفائدة عظيمة ، إذ لولاه لذهب كل تاريخ الكويت حتى أقرب العهود إلينا» .

وأما ما ذكره مؤلفه في المقدمة ففيه الكثير من الصدق حين قال : «على أنني لا أدعي العصمة فيما كتبت ، ولا الكمال فيما جمعت ، ولكن حسبي أني أول من رمى حجرا في ذلك الأساس ، وأول من سلك هذا الطريق المخيف ، وحسبي أني سهلت به على من يأتي بعدي كثيرا من الصعوبات التي تنتاب المؤرخ في بحثه وتنقيبه» . ولقد كان لمؤلفه ما أراده له أن يكون .

موقف الشيخ عبدالعزيز من «ضم الكويت للعراق»

لم يكن الشيخ عبدالعزيز الرشيد حين كان وكيلا لجريدتي «الشورى» و«الفتح» يرسل المواضيع السياسية لهاتين الجريدتين وذلك لعدم إيمانه بأن السياسة تخدم الإنسان وتنمي أواصر الأخوة . ولكن ما كان يقرأه ويسمعه من أخبار في الصحف العراقية وفي إذاعة قصر الزهور في بغداد عام ١٩٢٧ عن نية الكويت الانضمام للعراق جعله ومعه أهل الكويت يتساءلون عن صحة هذه الأخبار في دواوينهم ومجالسهم مما جعل الشيخ عبدالعزيز يرد على هذه الإشاعة بمقالة بعث بها إلى جريدة «الشورى» المصرية (عدد ١١٩) وإلى جريدة «نداء الشعب» العراقية . ولقد جاء في هذه الرسالة التي نشرتها «الشورى» في ١٧ فبراير ١٩٢٧ ما يلي :

« . . علمت بعد البحث الدقيق أن لا صحة لخبر الضم ، وأن مسألته لم تطرح على بساط البحث في الكويت . وكل ما قيل فلا وميض له من الحقيقة . .

أما نحن في الكويت ، وقد ظللتنا سماء الكويت ، واغتذينا بلبانها ، وربطتنا بها رباطة الوطنية ، فلا نود إلا أن نكون فيها متمتعون بالحرية الحقة والاستقلال الذي لا يشوبه شائبة في هيبته وعظمته وسلطانه ، تحت من كان لهم الحق الصراح دون سواهم ، إذا ما أهابوا بأهلها إلى ما يرفع شأنهم ، ويعلي رؤوسهم في هذا المجتمع ، إلى العلوم التي هي السلاح الوحيد للأمة الضعيفة في هذا العصر ، والأدب الغض . .

نعم ، لا تنكر الكويت أن عليها للعراق ونجد حق الدين والجوار والجنسية ، ولا تنكر أنها مديونة لهما أيضا بنهضتها العلمية والأدبية ، وبحالتها التجارية والاقتصادية ، ولكن ليس معنى هذا الاعتراف لميلها إلى الاندماج في هذين المحيطين ، ولا رغبتها في أن تنسى نفسها وشخصيتها التي كانت بارزة في يوم نشأتها ، ولا أن تسلم مقاليد أمورها إلى غيرها أيا كان ، ما دام في القوس منزع» .

كتب الشيخ عبدالعزيز هذا عام ١٩٢٧ ولم يكن يظن أو يتوقع آنذاك أنه سيأتي يوم في عام ١٩٩٠ يقوم فيه الطاغية العراقي صدام التكريتي بغزو سافر للكويت بواسطة السلاح ، ويحاول ضمها بالقوة بعد أن سماها المحافظة التاسعة عشرة .

إن هذه الكلمة للشيخ عبدالعزيز الرشيد لهي شهادة وفاء منه لوطنه تحسب له في هذه السنوات المحزنة .

واستمر الشيخ عبدالعزيز في مراسلة جريدة «الشورى» المصرية ، فكان يبعث لها بالمقالات لنشرها ، منها مقالة بعنوان «بين الشرق والغرب» والتي نشرتها في عددها ١٢٢ ، كما بعث بمقالة أخرى عن زيارة الزعيم الثعالبي للكويت مرة ثانية عام ١٩٢٧ ، كما أعلن أن «الشورى» هي الأكثر انتشارا بين القراء في الكويت وأعرب عن أمله في أن يرى جريدة في الكويت تشبه «الشورى» حتى يكتب للشيخ أحمد الجابر ـ حاكم الكويت آنذاك ـ «تاريخا في وطنه» . قال الشيخ عبدالعزيز هذا من باب التمني في أن يسمح له الشيخ أحمد بإصدار جريدة أو مجلة نظرا لأنها أنفع وسيلة لخدمة أمته ، كما كان يرى الشيخ عبدالعزيز الرشيد .

فماذا كانت ردة فعل الشيخ أحمد الجابر حول هذا الموضوع؟ ! . . هذا ما يدور حوله الفصل التالي .

مجلة الكويت... عرض ونقد

بدأ الشيخ عبدالعزيز يصرف النظر عن إصدار القسم الثاني من «التاريخ» بعد الضجة التي حدثت نتيجة لظهور القسم الأول منه ، وأخذ يعد نفسه لإصدار مجلة تكون وسيلة لعرض الآراء الإصلاحية فيها ، ومصدرا لتاريخ الكويت وما جاورها من بلاد . ولكن إصدار مثل هذه المجلة في الكويت (في عام ١٩٢٨) كان تحديا كبيرا لشخص يقوم بهذا العمل بمفرده ، فليس في الدول المجاورة آنذاك صحيفة يمكن له أن يستفيد من خبراتها ، ثم إن العوائق أمامه كثيرة ، فالذين وقفوا ضد كتاب «التاريخ» سوف يستمرون في معارضة مشروعه الجديد ، ثم إن التكلفة المادية لإصدار مثل هذه المجلة كانت كبيرة على شخص مثل الشيخ عبدالعزيز الرشيد .

ولكن هذا الشيخ كانت لديه روح التحدي التي لا تلين ، فلما عرض مشروعه الجديد هذا على الشيخ يوسف بن عيسى شجعه على إصدار هذه المجلة ، وأخذ بيده «إلى ساحة الأمل ، ودك كل ما أمامه من عقبات» ، كما أن الشيخ أحمد الجابر كان وفيا معه حين سمح له بإصدار هذه المجلة ، لكنه اشترط عليه أن يكون الشيخ يوسف بن عيسى مشرفا عاما عليها ، حتى لا يكتب فيها ما من شأنه إثارة حفيظة المعارضين كما حدث في كتاب «تاريخ الكويت» .

جمع الشيخ عبدالعزيز ما كان لديه من مبلغ محدود من المال ، وأخذ يجمع المادة للعدد الأول من مجلته التي أسماها «الكويت» ، كما اتصل بالأديب خير الدين الزركلي لكي تقوم مطبعته (المطبعة العربية) في القاهرة بطبع أعداد هذه المجلة ، وبعث له بمادة العدد الأول . وبعد أشهر وصلت الأعداد عن طريق البحر بواسطة أحد بواخر شركة الهند البريطانية ، فكانت تجربة ناجحة وغير مسبوقة في الكويت عام ١٩٢٨ . وبدأ المشتركون في الكويت وخارجها يقبلون على أعدادها الشهرية التي حوت على مواضيع دينية وأخلاقية وأدبية وتاريخية واجتماعية ، والتي كانت حسنة الإخراج جيدة الطباعة ، وهكذا كان ميلاد أول صحيفة في الكويت في مارس من عام ١٩٢٨ .

نظرة نقدية لمجلة «الكويت»

إن القارئ أو الباحث المتتبع لأعداد هذه المجلة «الكويت» العشرين ، يلاحظ أن

الشيخ عبدالعزيز أخذ في الاعتبار الخلفية الاجتماعية والتعليمية لأهل الكويت فيما ينشره من مواد فيها . ولقد كتب (ص ٣٥٨/ ج٢) يقول :

مجلة (الكويت) يجب أن تكون مناسبة لمحيط أهل الكويت ومناسبة لمعارفهم ومداركهم وهذا ما تقتضيه الحكمة ويقتضيه الإخلاص للوطن وإلا فليس من السداد أن يخاطب الكويتيون ومن على شاكلتهم من أهل الخليج الفارسي اليوم وهم في إبان نهضتهم وأول انتباههم من هجعة الجمود والخمول بما يخاطب به أهل البلاد التي أشربت أفكارهم التعاليم الحرة والآراء التي اكتسحت ما في أذهانهم من خرافات وأوهام ليس هذا من السداد في شيء قبل أن يمهد السبيل أمامهم بتذليل ما فيه من صعوبات .

لذا أراد الشيخ عبدالعزيز أن يعرض عليهم مواضيع ذات صبغة علمية في مجلته قد سلم بها معظم الناس خارج منطقة الخليج ولم يعد لذكرها أي داع . فالأرض كروية والمطر من بخار الماء والأرض تدور حول محور لها ، ولكن هذا كان كفرا عند بعض الناس وبعض علماء الدين في الكويت آنذاك . لقد كان الشيخ عبدالعزيز يعرف أن ذكر مثل هذه المواضيع في مجلته سوف يثير حفيظة هؤلاء العلماء الدينيين ، كما أنه استلم رسالة من السيد محمد رشيد رضا يعجب فيها من الحاجة إلى مناقشة مثل هذه المواضيع التي كان قد سلم بها علماء المسلمين منذ قرون طويلة . . ولكنه أراد بهذا أن يرد على ما كان يأتي به علماء الدين في الكويت من حجج تخالف هذه النظريات العلمية ، لذا وجد الشيخ عبدالعزيز «مسوغا لفتح هذا الباب في مجلة «الكويت» إيضاحا للحق ونشرا للحقيقة وصدعا بما يوحيه الضمير والوجدان» . . ولكن ذلك لم يحدث نظرا لتوقف هذه المجلة بعد إكمال سنتها الثانية في مارس ١٩٣٠ ، فارتاح من عناء الخوض في مثل هذه المواضيع الحساسة في ذلك المجتمع المحافظ .

ولقد ظهر الشيخ عبدالعزيز من خلال مجلته هذه أنه عصري ومتحضر نسبيا في نظرته للكثير من الأمور الاجتماعية والدينية ، وهذا بلاشك نتيجة لاطلاعه الواسع على ما كان يكتب خارج الكويت ، ونتيجة للفرص التي أتيحت له للسفر والتعرف على العديد من البلدان العربية الرائدة مثل مصر والشام والعراق . ويتجلى هذا حين يطرق موضوع «القديم والجديد» ، فنجده يتخذ موقفا وسطا بين من يعارض القديم لمجرد قدمه ولمن يعارض الجديد لمجرد

حداثته . . فهو مع الجديد إذا كان نافعا ولا يتعارض مع العقيدة ، وهو مع القديم النافع ، وهو على كل حال يرفض ما كان لا يتفق مع العقل والمنطق . ومع أن هذا الرأي يعتبر رأيا عاديا هذه الأيام إلا أنه كان قفزة في التفكير كبيرة في تلك الأيام في منطقة الخليج كافة ، بل حتى في مصر حيث كان الجدل بين أنصار القديم والجديد عنيفا .

ومع أن الشيخ عبدالعزيز كان ينظر إليه على أساس أنه رجل دين إلا أن اهتماماته الأخرى جعلته أكثر من هذا ، لذا يعجب القارئ حين يقرأ في مجلة «الكويت» من التحرر النسبي للشيخ عبدالعزيز من التعصب الديني الحاد . ففي أحد أعداد المجلة (عدد ٤ و٥ المجلد الثاني) يورد خطبة الأستاذ الشاعر إبراهيم العريض بمناسبة افتتاح المدرسة الجعفرية في البحرين ، كما أنه نشر في العددين (٤ و٥) (من المجلد الأول) شعرا لأحد العلمانيين وهو إلياس فياض فيه الكثير مما يخدش عاطفة علماء الدين من المسلمين ، ولكنه نشر في المقابل شعرا للشيخ يوسف بن عيسى يرد فيه على شعر الياس فياض ، فأين الشيخ عبدالعزيز في عام ١٩٢٨ من بعض رجالات الدين في الكويت هذه الأيام؟

ولكن الشيخ عبدالعزيز مازال يرى أن الرجال «مفضلون» على النساء ، ولم يستطع بعد كل ما تجمع لديه عن علم وخبرة أن يغير موقفه من أن الفوارق بين الرجال والنساء موجودة ، وأن الرجل قد فضله الله على المرأة . لقد وصل الشيخ عبدالعزيز هنا إلى الحد الذي لا يمكنه أن يتجاوزه مهما كان عصريا في نظرته للأمور ، مع العلم بأنه كان من أنصار تعليم المرأة «العلوم النافعة» .

ولقد استفاد الشيخ عبدالعزيز من الضجة التي قامت حول كتابه «تاريخ الكويت» خبرة وأصبح أكثر نضجا ، فلم يحاول التشهير بمعارضيه في مجلته هذه ، بل كان أكثر صبرا على ردة فعلهم إزاء هذه المجلة وما كان ينشر فيها . وكانت وسيلته للرد عليهم أكثر ذكاء من قبل . . لقد اكتفى بالرد عليهم بأن يورد آراء «أهل الفضل» من كبار علماء الإسلام حول شتى المواضيع ، وعن رأيهم في مجلة «الكويت» فكان هذا الخطاب العقلاني موفقا .

ولعل ما يدعو للدهشة الجهد الذي كان يبذله الشيخ عبدالعزيز في تحرير الرسائل ، وفي الرد عليها ، وفي كتابة المقالات وجمعها وإرسالها إلى المطبعة في القاهرة عن طريق البريد ، إضافة إلى الاطلاع على أمهات الكتب الذاتية والأدبية

والاجتماعية . كما أن التواصل الذي كان بينه وبين الكثير من العلماء العرب والمثقفين في تلك الأيام مما يدعو للعجب . فلقد كان الشيخ عبدالعزيز يمثل الكويت (تمثيلا غير رسمي) في رابطة «الجامعة العربية» التي ضمت نخبة من كبار علماء ومثقفي الأمة العربية التي كانت تحلم وتدعو للوحدة العربية الشاملة ، لمواجهة الاستعمار وتسلط الدول القوية على الدول الضعيفة . ولقد انبرى الشيخ عبدالعزيز في مجلته هذه للدفاع عن «الشرفاء والكرماء والمصلحين» في مختلف بلدان العالم العربي ، فهو يورد جليل أعمالهم وأقوالهم مع نبذ من أخبارهم ، كما يورد أحيانا تراجم لبعضهم حتى يعرِّف العامة بهم وبأعمالهم ، هذا إضافة إلى ما كان ينشره من آراء إصلاحية . «فالكويت» إذاً كانت وسيلة للنشر مهمة في ذلك الوقت وفي ذلك المكان ليس للشيخ عبدالعزيز وحده بل لعدد من الأدباء والشعراء والكتَّاب العرب ، ما عدا الآراء السياسية فقد كان الشيخ عبدالعزيز يتجنب الخوض بها في أعداد مجلته ، وحسنا فعل ، فالسياسة كما قال عنها «لا دين لها ولا شرف ولا خلق ولا فضيلة» ، ولكنه مع هذا اضطر إلى ذكر ما قام به «الإخوان» من الهجوم على أطراف الكويت في حادثة الرقعي عام ١٩٢٨ وذلك (كمال قال) لكي «تكون مجلتنا هذه مصدرا صحيحا فيما بعد لتاريخ الكويت» . لقد أدرك الشيخ عبدالعزيز هنا أن فصل التاريخ عن السياسة ليس سهلا على الدوام .

والحق أن مجلة «الكويت» كانت ثرية في مواضيعها ومسلية ، وكانت تعتمد على نشر المقالات القصيرة نسبيا ، أما إذا كانت المقالة طويلة فقد كانت تنشر في حلقات متتالية تجنبا للسأم أو الملل . كما كانت المجلة هذه تعتمد على جمع الاشتراكات ولا تباع أعدادا متفرقة في المكتبات ، وفي هذا الكثير من المشقة إذ أن انتظار المشتركين لدفع ما عليهم من اشتراكات كان ينجح أحيانا ويفشل أخرى مما يسبب الارتباك لأي ناشر كان . ولقد نجحت مجلة «الكويت» في إيصال اسم الكويت إلى الخارج ، فمن كان قد سمع عن بلدة اسمها الكويت آنذاك خارج الدول المجاورة؟ ومما يدل على ريادة الشيخ عبدالعزيز في هذا المجال فتحه باباً في مجلته أسماه «مجال القراء» تشجيعا لهم على نشر ما تجود به قرائحهم من شعر ونثر ، كما فتح بابا آخر أسماه «بريد القراء» . أما الباب الذي لم يسبق أحد الشيخ عبدالعزيز في طرقه فهو باب الكلمات الفصحى في اللهجة العامية

الكويتية ، والتي يظن الكثير من الناس أنها عامية ، فقد نشر العديد من هذه الكلمات في حلقات عديدة مبينا أصلها الفصيح . ومازال هذا الباب نافعا حتى للباحثين المحدثين .

ولقد وجه البعض النقد لمحتوى هذه المجلة . . فالزعيم عبدالعزيز الثعالبي في معرض نقده لمجلة «الكويت» كان يرى ألا يعتمد الشيخ عبدالعزيز على إيراد النصوص التي كتبها علماء معروفون للدفاع عن الدين ، بل فضل أن يقوم الشيخ عبدالعزيز بدعوتهم إلى حوار عقلاني ، ولكن الشيخ عبدالعزيز كان يعرف الخلفية الاجتماعية والتعليمية لأبناء وطنه ، ويعرف مستواهم فكان رأيه أن يستمر في إيراد مثل هذه المقالات لعلماء إسلاميين كبار .

ولكن القيام بإعداد مادة المجلة وإرسالها إلى مصر واستلام الأعداد بعد تخليصها من الجمرك البحري ثم إرسال الأعداد للمشتركين وجمع الاشتراكات منهم ـ جميع هذه الأعمال التي كان يقوم بها الشيخ عبدالعزيز لم تكن سهلة ، وبخاصة جمع الاشتراكات خارج الكويت ، فقد كانت كما قال من «أشق المهن» ، فهو لم يكن من ميسوري الحال ، لذا كان يطلب ويترجى المشتركين للالتزام بدفع ما عليهم من حقوق لهذه المجلة حتى يضمن استمرارها ـ كما قال .
ولقد استمر صدور هذه المجلة إبان الأزمة الاقتصادية العالمية (عام ١٩٢٩) وكان في ذلك تحد كبير للشيخ عبدالعزيز ، لكن الإنصاف يوجب القول إن سعر العدد الواحد لهذه المجلة كان مرتفعا (روبية واحدة) نظرا لطباعتها خارج الكويت ونظرا لجودة إخراجها وطباعتها ، فلو أن الشيخ عبدالعزيز طبعها في أحد مطابع البصرة مثلا لكانت تكلفة طباعتها وشحنها أقل ، ولكنه أرادها أن تكون في «أبهى حلة» ، وبخاصة أن تجربة الشيخ عبدالعزيز في طباعة كتابه «تاريخ الكويت» في العراق كانت غير مشجعة ، إذ حدثت أغلاط في الطبع «أذهبَتْ ببعض محاسن هذا التاريخ» كما لاحظ ذلك الأديب العراقي روفائيل أفندي بطي . ولعله من المفيد أن نذكر هنا أن الشيخ عبدالعزيز كان يطبع حوالي ٥٠٠ نسخة من كل عدد من مجلته ، وكانت تكلفة هذه النسخ حوالي ١٧٠ روبية هندية ، وكان لها موزعون أو وكلاء في كل من البحرين وقطر وساحل الإمارات وفي الحجاز وبغداد وفي مدينة بومبي الهندية .

استمرت المعارضة من بعض الناس في الكويت لهذه المجلة ، وهذا ما أقلق

راحة الشيخ عبدالعزيز وهو ينهي السنة الأولى من مجلته ، فوجد أن أفضل له أن يستمر في إصدار هذه المجلة خارج وطنه ـ في البحرين ، ذلك القطر الشقيق الذي يكثر فيه أصدقاء الشيخ عبدالعزيز من العلماء والمثقفين البحرانيين ، فاستأذن من حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر بالسماح له بالانتقال إلى البحرين فسمح له مع تأسفه الشديد على اضطرار الشيخ عبدالعزيز إلى الهجرة إلى البحرين . . وأنه من المؤكد هنا أن سبب انتقال الشيخ عبدالعزيز إلى البحرين لم يكن لأسباب سياسية كما أشاعه بعض الناس عنه .

وصل الشيخ عبدالعزيز المنامة فاستقبله أصدقاؤه أحسن استقبال وأصبح واحدا من أعضاء «المنتدى الإسلامي» في المنامة ، كما قام بالتدريس في مدرسة الهداية الخليفية في المنامة . كما كان يلقي الدروس والخطب في هذا المنتدى ويحرر فيه مسودة أعداد الجزء الثاني من مجلته ، حتى أصبحت مجلة «الكويت» هذه «لسان حال المنتدى الإسلامي» في البحرين . لقد كان شعور الشيخ عبدالعزيز وهو يهرب بمجلته من الكويت إلى البحرين شعور ناشر عربي يهرب بمجلته هذه الأيام إلى لندن ، ليس لأسباب سياسية بل اجتماعية محضة .

كذلك كانت مجلة «الكويت» وسيلة الشيخ عبدالعزيز للتقرب من الملك عبدالعزيز آل سعود الذي استولى على قلوب المصلحين نظرا لأعماله الإصلاحية في نجد وفي الحجاز ، حتى أن الشيخ عبدالعزيز قدم الجزء الثاني من مجلته (السنة الثانية) إلى جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ، حتى تم اللقاء بينهما في الرياض حيث طلب فيه الملك عبدالعزيز من الشيخ عبدالعزيز السفر إلى إندونيسيا واعظا ومرشدا وداعيا إلى فريضة الحج ، فأدى هذا التكليف إلى توقف مجلة «الكويت» بعد إكمال عامها الثاني .

مجلة «الكويت والعراقي» عرض ونقد

كان الشيخ عبدالعزيز قد قابل في الحجاز الصحافي والرحالة العراقي يونس بحري الذي كان مراسلا للعديد من الصحف العربية ، ودار بينهما حديث عن الخلاف الدائر آنذاك (في عام ١٩٣٠) بين العرب الحضارم في جزيرة جاوه الإندونيسية ، وكانت لدى الاثنين رغبة في السعي للصلح بين الحزبين المتنافرين هناك ، وهما حزب الإرشاد الإسلامي ، وحزب الرابطة العلوية الذي يمثله السادة أو الأشراف هناك . وكان الخلاف بينهما حول من يستحق لقب «سيد» ، وهل يجوز لعامة المسلمين الزواج من بنات «السادة» . فلما وصل الشيخ عبدالعزيز إلى سنغافورة في طريقه إلى جاوه في حوالي شهر يوليو عام ١٩٣١ ، وحل ضيفا على السيد إبراهيم بن عمر السقاف ، قابل في منزل السيد السقاف السائح العراقي يونس بحري وتم الاتفاق بينهما على السعي إلى الصلح بين الفريقين المتناحرين من العرب في إندونيسيا ، ولما وصلا جاوه بدأ كل واحد منهما في التعرف على أسباب الخصام فقررا أن يصدرا مجلة تساعدهما في هذا العمل التطوعي وهكذا عاد الشيخ عبدالعزيز (وبمساعدة زميله السائح العراقي) إلى العمل الصحافي بعد أشهر من وصولهما إلى جاوه ، وقاما بإصدار مجلة «الكويت والعراقي» ، فلم يكن من الصعب على الشيخ عبدالعزيز إصدار مثل هذه المجلة نظرا للخبرة التي تجمعت لديه من خلال إصدار مجلة «الكويت» عامين كاملين . كما أن المبلغ الذي حصل عليه الشيخ عبدالعزيز من الملك عبدالعزيز قبل سفره إلى جاوه أتاح له الصرف على مثل هذه المجلة التي كانت تشابه مجلة «الكويت» من حيث الحجم والإخراج وحتى المواضيع . . فهي شهرية وتعتمد كذلك على الاشتراكات السنوية .

ولكن هذه المجلة اعترتها العديد من المشاكل منذ صدورها في سبتمبر ١٩٣١ وحتى توقفها في جون ١٩٣٢ بعد أن صدر منها عشرة أعداد . . فكانت كباقي صحف العرب الحضارم في جاوه قصيرة العمر نسبيا .

كانت أول صعوبة واجهتها هذه المجلة هي في ثمن الاشتراك فيها ، فقد كان سعر العدد يعتبر غاليا في ذلك الوقت بعد أن حلت الأزمة الاقتصادية العالمية وسيطر شبحها على الأسواق العالمية . . لذا أعرب أحد القراء عن أسفه لارتفاع

سعر العدد من هذه المجلة ، فكانت غالية الثمن بالرغم من سعة انتشارها النسبي بين العرب في تلك الأصقاع .

لذلك واجهت المجلة صعوبة من خلال تساؤلات العديد من القراء عن اسمها الغريب ، فلا هي «بالكويتي والعراقي» ، ولا هي «الكويت والعراق» . لقد أراد الشيخ عبدالعزيز من هذا الاسم الغريب أن يبقي على ذكرى مجلته «الكويت» ويضيف إليه صفة زميله في هذا العمل الجديد وهو السائح العراقي ، فكان هذا الاختيار من الشيخ عبدالعزيز غير موفق مما أدى إلى طرح أحد القراء سؤالا عن المقصود بهذا الاسم الغريب . كما واجهت المجلة صعوبة دفع الاشتراكات في مواعيدها فسبّبَ هذا للشيخ عبدالعزيز الإزعاج ، الذي أخذ يدعو المشتركين إلى التكرم بدفع ما عليهم من حقوق لهذه المجلة «وبذا يساعدون أخاهم» على المضي في هذا الطريق .

ثم إن اجتماع رجل معروف بتوجهه الديني الإصلاحي مثل الشيخ عبدالعزيز الرشيد برجل مثل السائح العراقي يونس بحري الذي لا تكاد تعرف له هوية واضحة جعل بعض العرب هناك يتساءل عن سبب اجتماع مثل هذا الرجل بالشيخ عبدالعزيز الرشيد . ومع أن يونس بحري (بشهادة بعض كبار الحضارم في جاوه) لم يبدُ منه ما يسيء للأخلاق أو للتعاليم الإسلامية ، إلا أنه من المشكوك فيه أن يكون الشيخ عبدالعزيز جاهلا بشخصية هذا السائح الغريبة ، ولكنه أراد أن يجربه لكي يكون له سندا صحافيا نظرا لخبرة يونس بالصحافة والمراسلة والسياحة ، فيضفي على أبواب المجلة شيئا من روحه المرحة ويثريها بسياحاته العجيبة .

غير أن المشكلة الأساسية التي وقعت فيها مجلة «الكويت والعراقي» هي في خوضها في النزاع بين العرب الحضارم في إندونيسيا وسنغافورة ، والتزامها بتأييد فريق وهو(الإرشاد) دون الآخر (العلويين) .

لقد بدأ العدد الأول من هذه المجلة في دعوة كلا الفريقين للصلح ، ولكن صاحبها الشيخ عبدالعزيز مال في الأعداد التالية إلى حزب الإرشاد بعد أن واجه العديد من الصعوبات في سبيل الصلح بينهما . لقد كان عليه أن يختار واحدا

من الفريقين ، فكان حزب الإرشاد بالطبع أقرب الحزبين له نظرا لقربهم من معتقداته السلفية ، وبذا أصبح على الرغم منه جزءا من ذلك الصراع المرير الذي أذهب بطاقات العرب هناك ، وأنزل من مكانتهم في عيون عامة الإندونيسيين .

لقد اضطر الشيخ عبدالعزيز إلى كتابة المقالات للدفاع عن نفسه ضد هجمات الرابطة العلوية التي كان بعض زعمائها يكتبون في جريدة «حضر موت» ويصفون الشيخ عبدالعزيز بأنه جاء ليفرق بين العرب الحضارم ، ولكي يرتزق من خلال بث الفتنة بينهم . لقد قيض هذا من راحة الشيخ عبدالعزيز في ذلك البلد البعيد عن الأهل والوطن ، فكان نتيجة ذلك أن زادت آلامه ومعاناته .

غير أن مجلة «الكويت والعراقي» لم تكن صحيفة سوء (على ما يفهم من الكلام السابق) ، بل كانت أداة لنشر التعاليم الدينية الإصلاحية التي كان العرب الحضارم في إندونيسيا يتوقون لقراءتها ولسماعها ، نظراً لبعدهم عن أوطانهم وعن مصدر الرسالة المحمدية . وكانت كذلك وسيلة ناجحة لمساعدة الحجاج الإندونيسيين وذلك من خلال بث الأخبار عن مواسم الحج وعن الإصلاحات في الحجاز التي جعلت الحج أكثر يسراً وتنظيماً بعد أن أصبحت تحت حكم الملك عبدالعزيز .

كذلك كانت تنشر الخطب التي كان الشيخ عبدالعزيز يلقيها في شتى المناسبات هناك وفي النادي الأدبي في مدينة بوقور المدينة التي سكن فيها في جزيرة جاوه . ولم تخل هذه المجلة من أشعار جيدة وخاصة ما كان يرسله الشاعر صقر الشبيب إلى صديقه في المهجر الشيخ عبدالعزيز الرشيد فيرد عليه الشيخ عبدالعزيز عبر صفحات هذه المجلة .

يقول صقر :

أعلمت ما قاسى من الأشجان
مذ غبت يا عبدالعزيز جناني
قاسى من الأشجان بعدك والأسى
ما وصف أدناه يفوت لساني

ثم يصف حاله قائلاً :

فانظر إلى وجهي يرعك شحويه
ويزعك من رميي ببعد ثاني
ولئن ثناك عن التنائي مرة
أخرى صنيع النأي بالخلان
فلأنت أشفقنا على أصحابه
نفسا وأعطفنا على الأحزان

فيرد عليه الشيخ عبدالعزيز بالأبيات التالية :ـ

أنت يا صقر بلبل غريد
إن تغني فالغصن منه يميد
قد عهدناك في سما الشعر بدراً
وشهدناك في القصيد مجيد
تقرع القوم بالنصائح جهراً
بقصيد يلين منه الحديد
فلماذا سكت حتى ظننا
أن صقراً قد غيبته اللحود
ضل رشدي وكدت أصعق حزنا
ودهاني من البلاما يبيد
منذ قالوا وأنت أعمى ضعيف
سرت في البحر «للمغاص» ترود
تبتغي لقمة لتطرد جوعاً
في حناياك وخزه لشديد
أبهذا يا صقر يجزى أديب
من رجال فيهم سخاء وجود

ثم يختمها بالبيتين التاليين :

إيه يا صقر فاحتسب كل بؤس
فحياة الأديب بؤس مبيد
وقديماً حظ الأديب سواد
ونصيب البليد سعد وعيد

ومن المواضيع التي تطرق لها الشيخ عبدالعزيز في مجلته «الكويت والعراقي» موضوع التطور وما جاء به العالم الإنجليزي دارون من نظرية أحدثت دوياً في العالم ، وبخاصة عند علماء الدين في العالم . ولم يكن الشيخ عبدالعزيز من مؤيدي هذه النظرية كما هو متوقع منه ، ولكن مجرد عرضها على القراء في تلك المجلة في ذلك الوقت يعد أسلوباً عصرياً إذا ما علمنا أن بعض حكومات الولايات في أمريكا مازالت تمنع تدريس هذه النظرية للطلاب حتى هذا اليوم . فهي - أي نظرية دارون - «خرافة» عند الشيخ عبدالعزيز الرشيد «لم يستطع أهلها أن يؤيدوها بدليل قاطع . . .» ويورد هذه الأبيات للأستاذ فريد وجدي حول هذه النظرية :

إذا كنت والحيوان في الأصل واحداً
فما لك ترقى وهو للآن حيوان
أراه قنوعاً إن ينل ملأ بطنه
وأنت إن نلت البسيطة جوعان
تطاول بالكفر السماء سفاهة
وتزعم أن الكل فيك وإن بانوا

كذلك كان الشيخ عبدالعزيز ينشر في مجلته هذه نبذ عن المحاضرات التي كان يلقيها في النوادي الأدبية للعرب في إندونيسيا ، مثل محاضرته عن «الإسلام والمدنية» والتي يجدها من يطلع عليها بأنها تحمل آراء تقدمية حتى بمقاييس

الحاضر . فالعلم والدين (بالنسبة للشيخ عبدالعزيز) «متآخيان» ، وعاب على الذين ابتلوا بداء التعصب والكره لكل ما هو جديد ، وقال أنه ليس من العجب أن ينفر الناس منهم ومن تعاليمهم . كما وجه (من خلال هذه المجلة) رسالة إلى الشيخ أحمد الجابر ـ أمير الكويت حينئذ ـ يدعوه فيها للسعي إلى حل مشكلة «المسابلة» حين يقابل الملك عبدالعزيز في الديار المقدسة ، وهي المشكلة التي منعت أعراب نجد وحائل من التوجه لأسواق الكويت لشراء ما يلزمهم من أطعمة وحاجيات .

أما السائح العراقي يونس بحري ـ شريك الشيخ عبدالعزيز في هذه المجلة ، فكان ينشر شيئاً من سياحاته في مختلف المدن الجاوية بأسلوبه السهل الممتنع والشيق ، فكان مكسباً لهذه المجلة في ذلك المحيط البعيد عن ديار العروبة .

ولكن السائح العراقي كان يتظاهر أمام الإرشاديين بأنه مؤيد لهم ضد العلويين ، وكان في الوقت ذاته يتقرب من العلويين ويسعى للوشايه بين الطرفين ، مما جعل الشيخ عبدالعزيز يعلن بعد أن أنهت مجلة «الكويت والعراقي» سنتها الأولى أنه قرر الإنفصال عن السائح العراقي ، وعن عزمه على إصدار صحيفة خاصة بعد عودته من زيارة وطنه الكويت ، فكان هذا نهاية هذه المجلة الفتية . ولو أن الشيخ عبدالعزيز التزم الحياد (بالرغم من صعوبة الوقوف على الحياد عن الجانبين المتخاصمين) ولم يستخدم مجلته هذه في الدفاع عن وجهة نظر الإرشاديين مع كونهم أقرب إلى توجهاته الدينية من العلويين) ، وحاول كسب الفريقين ، لكان خط مجلته أفضل وعمرها أطول . ولوفّر على نفسه الكثير من العناء والإزعاج النفسي في ديار الغربة ، ولما كدره وصف بعض أعضاء الرابطة العلوية له بأنه جاء لكي يرتزق من وراء الخصام الدائر بين العرب الحضارم في جاوه .

وأما يونس بحري فقد ظهر للجانبين على حقيقته ، فوجد السادة العلويون أن أفضل طريقة للتخلص منه هو أن يدفعوا له مبلغاً مغرياً من المال شريطة أن يرحل عن جاوه إلى غير رجعة ، وهذا ما حدث له بالفعل .

العودة الأولى للوطن
من (جاوة)

بعد حفلة وداعية أقيمت له في بوقور من قبل أصدقائه الإرشاديين في هذه المدينة الجاوية في أغسطس عام ١٩٣٢ ، جاء موعد السفر إلى الوطن . وكان الشيخ عبدالعزيز قد ألقى في هذا الحفل الوداعي قصيدة هي من أجود ما قاله من الشعر ، بث فيها حبه لجاوه ولأصدقائه فيها ، وأعرب فيها عن حزنه لوداعهم ، منها البيتان التاليان .

في ذي الحـيـــاة مـــواقف من شـــأنهـــا
تـذر القـلـوب ونـارهـا تـتــــوقـــــد
وأشـقّ هـاتـيـك المـواقـف مـــــوقـف
فـــيـــه لتـــوديع الأحـــبـــة مـــوعـــد

وفي ١٨ أغسطس ١٩٣٢ ركب الباخرة في طريقه إلى الهند ثم إلى الكويت حيث وصلها في شهر سبتمبر ١٩٣٢ ، وكان هذا العام هو عام بلاء في الكويت حيث انتشر فيها وباء الجدري ، وساء الوضع الاقتصادي فيها نظراً للأزمة الاقتصادية العالمية ولاستمرار مشكلة «المسابلة» مع نجد . ولما سكن الشيخ عبدالعزيز إلى أهله وزار معظم أصدقائه وبخاصة الشيخ أحمد الجابر ، بعث بالقصيدة التالية إلى صديقه السيد مساعد عبدالله الرفاعي الذي كان في البصرة في زيارة لصديقه مصطفى يوسف الإبراهيم .

لـو أبـا أحــــمـــــد نـظرت لجــــاوا
حين تبـــدو كـــالخـــود تبـــدي العـــقـــودا
لـرأيت الجــــمـــــال فــــيــــهـــــا بديعــــاً
يـأســــر القـلـب ليـنـاً أو حــــديـدا
إن جــــاوا بـحــــسـنـهـــــا وسـنـاهـا
بـزت الحـــسن طـارفــــاً وتـلـيــــدا
وســـتـنسى فـــيـــحـــاك حـــتى رباها
وهـواهـا وطـيـــرهـا الـغــــريـدا
وســـتـنسى رجـــالهـــا الغـــر إلا
من لـه الـفــضـل ناشـــداً ومـــشـــيـدا

وبعد أسابيع من وصوله الكويت قرر العودة إلى جاوه . ففي ١٦ أكتوبر ١٩٣٢ غادر الكويت إلى البحرين عن طريق البحر ، وكان سؤال والدته له :

ـ هل راح تتأخر (في جاوه) يابني؟

ـ نعم ، أماه . . . سوف أتأخر

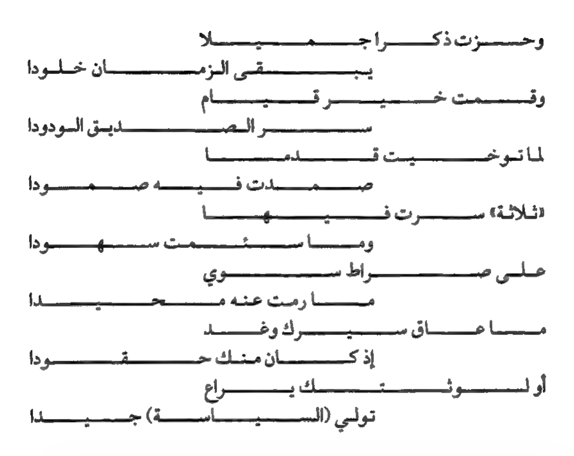
ـ إذن حللني يا بني . . . أخشى ألا أراك ثانية ففاضت عاطفته بعد سماع هذه الكلمات من والدته ، وضمها إلى صدره ، وما أن وصل إلى جاوه حتى جاءه خبر وفاتها فنعاها بكلمات مؤثرة وصادقه .

وفي البحرين أقام أصدقاء الشيخ عبدالعزيز حفله لتكريمه في المنتدى الإسلامي في المنامة ، ضمت أعضاء المنتدى من الأدباء ، فقام الأستاذ سلمان كمال وألقى كلمه في هذا الحفل ، كما تبعه الشاعر إبراهيم العريض بإلقاء كلمة ، رحب فيها بالشيخ عبدالعزيز ، ثم ختم الشيخ عبدالعزيز هذا الحفل بكلمة ذكر فيها شيئاً عن تجربته في جاوه ، ودعاهم فيها إلى التكاتف وإلى التمسك بالدين وبالأخلاق . وبعد أن شكرهم على حسن استقبالهم له نزل المنامة إلى العقير ، ثم استأجر دابة أوصلته إلى الرياض حيث قابل الملك عبدالعزيز ، وشاهد التلغراف اللاسلكي ، كما سمع (ولأول مرة) الإذاعة وما تبثه من موسيقى وأغان من تركيا وغيرها فأعجب كثيراً بهذه المخترعات الجديدة على شبه الجزيرة العربية فكتب فيما بعد يقول أن «ليس في هذا كله من غرابة ، فلا سحر ولا تنجيم ولا شياطين ولا كهنة ، وإنما هي العقول الجبارة التي أوصلت أربابها إلى ما نرى ونسمع . . . .» .

وبعد أن ترك الشيخ عبدالعزيز الرياض توجه إلى الطائف حيث قابل الأمير فيصل بن عبدالعزيز ، الذي كان نائبا لوالده في الحجاز ، وبعد أن أدى مناسك العمرة ركب الباخرة في طريقه إلى جاوه . وقبل ركوبه الباخرة قدم له أحد طلبة المعهد العلمي السعودي في مكة ، الأبيات التالية يمدحه فيها على إصداره مجلة «الكويت والعراقي» ، وكان هذا الطالب تعده الإرادة الإلهية لكي يكون علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر .

قطعت شوطا بعيدا

وسرت سيرا حميدا



وحزت ذكرا جميلا
يبقى الزمان خلودا
وقمت خير قيام
سر الصديق الودودا
لما توخيت قدما
صمدت فيه صمودا
«ثلاثة» سرت فيها
وما سئمت سهودا
على صراط سوي
ما رمت عنه محيدا
ما عاق سيرك وغد
إذ كان منك حقودا
أو لوثتك يراع
تولي (السياسة) جيدا

نزل الشيخ عبدالعزيز ميناء جدة في شهر ديسمبر عام ١٩٣٢ ومرت به الباخرة ميناء بمبي الهندي حيث بقي فيه عدة أيام قابل فيها أصدقاءه الكويتيين التجار هناك ، ثم ركب الباخرة مرة أخرى إلى سنغفورة حيث وصلها في ١٤ يناير ١٩٣٣ ، وكان في استقباله أصدقاؤه الإرشاديون . وفي اليوم الثاني لوصوله سنغفوره قام بزيارة صديقه العلامة الحضرمي سالمين بن سالم النعماني الذي استقبله في منزله بالأبيات التالية :

حمداً لمن شرف الشرق بطلعة من
قد فاق أقرانه بالعلم والحكم
مازلت بالحلم والمعروف متصفاً
وناصر الدين بالسيف والقلم
أعاذك الله من كيد الحسود ومن
كل المصائب والآفات والنقم

لا عـــاش عـــبـــد يرى في أصلـه شـــرفـــاً
علـى ســـــواه بـلا علـم ولا كــــــرم

كما أقيمت له حفلة تكريم ألقيت فيها الخطب احتفاءً بعودته إلى تلك الديار ، فقام وألقى كلمة حاول فيها الدفاع عن نفسه ضد التهم التي ألصقها به بعض أعضاء الرابطة العلوية . وكان مما قاله في هذه الكلمة أنه لم يأت إلى هذه الديار لإثارة الفتنة بين أهلها كما اتهم بذلك . كذلك بين في هذه الكلمة خطته الجديدة التي سيسلكها هذه المرة في جاوه وهي :

«مسالمة من يريد مسالمتي ، وقيام بما علي من حقوق لمن يقوم بها لي ، وصبر على قوارص الإنتقاد ، وحلم عن الجهلاء ، وإغفاء عن السفهاء ، إلى أن أكون في دفاعي أهلاً للعذر عند منصفي العالم الإسلامي ونبلائه» .

كما لمح الشيخ عبدالعزيز خلال هذه الزيارة صديقه في سنغفوره السيد إبراهيم بن عمر السقاف فوجه إليه الأبيات التالية يدعوه فيها إلى نصح قومه العلويين (وبخاصة أعضاء الرابطة العلوية) حتى يمكن التوصل إلى صلح بين الفريقين المتخاصمين :

فـــانصح القـــوم يا نبـــيل فـــحق
أن نـراكـم لـنصـــحـــهم تـعلـنونـا
وقـل الحق لا تـخـف فـــيـــه لـومـــاً
ثم نـاد الجـــمـــيع حـــتى تبـــينـا

ولم ينسَ «قومه» الإرشاديين فوجه لهم الأبيات التالية ناصحاً لهم :

إيه قـــومي ومن شـــقـــاهم شـــقـــائي
وبـهـم أعـــتـلي إذا يـعـــتـلـونـا
خـــفـــفـــوا الوطأ فـــالقـــســـاوة شـــر
تجـلـب الحين والـفـنـا والـفـــتـــونـا
إن ظـنـنـتـم أن القـــســـاوة تجـــدي
فـــلأنتم في ظنكم مـــخـطـئـــونـا

مـــا عـــهــدنا القلوب تملك قــســراً
فـــانبــذوا الطيش واصــفـعــوا الطائشــينا
ودعـــوا الكيـــد والتـــعــالي فــحق
مـن تـعــــالى عـلى الـورى أن يهــــونــا
لا تعـــادوا بغـــيـــر حق رجـــالاً
أو توالوا مـن كـــان خــبـــاً خـــؤونا
وعـليكـم بـالرفـق قـــولاً وفـــعـــلاً
إن أردتم أعـــداءكم يـرفـــقـــونـا

نزل الشيخ عبدالعزيز سنغفورة في طريقه إلى جاوه ، ولما وصل جاكرتا قابل زعيم الإرشاديين فيها الشيخ أحمد السوركتي الأنصاري السوداني الأصل ، ثم ترك جاكرتا إلى بوقور حيث بدأ بالإعداد لإصدار صحيفته الثالثة وهي جريدة «التوحيد» التي ظهر العدد الأول منها في أول مارس عام ١٩٣٣ ، وبدأ توزيعها وجمع الاشتراكات لها . ولقد كتب على غلافها أنها جريدة دينية أخلاقية أدبية تصدر في الشهر مرة مؤقتاً .

جريدة «التوحيد» نظرة نقدية

إذن فجريدة التوحيد لا تختلف عن سابقتها كثيراً ، فهي جريدة أكبر حجماً من حيث الصفحات من مجلة «الكويت والعراقي» ولكن أقل منها من حيث عدد الصفحات . كما كانت تشبه سابقتها من حيث المحتوى ، ولكن الفارق فيها أن الشيخ عبدالعزيز لم يعد ينشر فيها شيئاً من شأنه إثارة حفيظة العلويين ، بل كرسها لمحاولات التقريب بين الفريقين المتناحرين مع علمه باستحالة التوفيق بينهما بعد أن كان بينهما ما كان . لقد تعلم الشيخ عبدالعزيز من خلال تجربته السابقة أن التحيز لطرف دون آخر في الكتابة الصحافية لا يثمر سوى زيادة الخلاف بينهما ولكنه بقي ملتزماً بآرائه السلفية والإصلاحية ، كما كان يرد في جريدته هذه (التوحيد) على الفرق الإسلامية التي يعتقد أنها ضاله مثل القاديانية ، وغيرها التي أصبح لها جذور في إندونيسيا ، ولم ينس أن يخصص في هذه المجلة مكانا يعرض فيه سياحاته في شتى المدن الجاوية مقلدا بذلك السائح العراقي يونس بحري ، ولكن مع اعتراف الشيخ عبد العزيز بأن ما من أحد يستطيع أن يجاري هذا السائح في طريقة وصفه الشيعة ، لذا فكل من يحاول تقليد السائح في هذ المجال قيل له «لقد حكيت ، ولكن فاتك الشنب» .

ولم يكن الشيخ عبد العزيز ينسى أصدقاءه في الكويت ، بل كان يبعث الرسائل لهم والقصائد التي يبث فيها شعوره في الغربة ، كما نشر في جريدته هذه بعض القصائد التي قالها فيه بعض أصدقائه مثل هذه الأبيات للشاعر راشد السيف :

لمثلك الشعر عني جاء يعتذر
فاقبل كفيت الردى من فاته الظفر
وارفق بخل عن العلياء قد قصرت
يوم القدوم يداه حين ما ابتدروا
يقلب الكف صفرا لا نقود به
إلا الرجاء لحسن الظن يفتقر
قد علل النفس بالآمال تسلية
من عاقه الدهر أو حاطت به الغير

مـــا وبخ البـــؤس مــــثـلي يوم أســـأله
مـــا حـيلة المرء فــيـــمـا شـــاءه القـــدر
لـكن لـي أمل يـابـن (الرشـــــيـــــد) بكـم
لم ينثن العـــزم عنه مـــا بقي العـــمـــر
أرى لي الفـــخـــر يا (عـــبـــد العـــزيز) على
من لـم يـقـم بالـثـنا شكرا ويفــــتـــخـــر

كذلك واصل الشيخ عبد العزيز نشر أخبار نادي الإرشاد الأدبي في جريدته ، وكان يرجو من المشتركين الالتزام بما عليهم من حقوق مادية لهذه الجريدة حتى لا يحدث لها ما حدث لسابقتها (الكويت والعراقي) إذ لم يلتزم جميع المشتركين بدفع ما عليهم من حقوق للمجلة فواجهتها صعوبات نتيجة لذلك ، ولقد قرضت مجلة «المنار» الشهيرة جريدة التوحيد هذه ، فترك هذا الانطباع الحسن في نفس صاحبها الشيخ عبد العزيز الرشيد وشجعه على المضي في هذا العمل الشاق .

ولكن «التوحيد» وبعد سنة واحدة من إصدارها ، توقفت إلى الأبد ، فلم يكن حظها بأفضل من حظ من سبقها من المجلات التي قام الشيخ عبدالعزيز بإصدارها .

لقد تم تعيين الشيخ عبد العزيز ناظرا لأحد أكبر مدارس الإرشاد في إندونيسيا ، وهي مدرسة فرع مدينة بكالونجان في جاوه الوسطى ، وهذا منصب رفيع عند العرب الحضارم هناك لم يستطع الشيخ عبد العزيز رفضه نظرا لأنه كان يعتبر التدريس ، والعمل في المجال التربوي «من أشرف المهن» لقد تم تعيينه من قبل زعيم الإرشاديين الشيخ أحمد السوركتي ، فكان أول ناظر لهذه المدرسة غير حضرمي منذ أن أنشئت هذه الجمعية ـ جمعية الإرشاد الإسلامي في جاوه .

من العمل الصحافي
إلى التربية والتعليم

وصل الشيخ عبد العزيز مدينته الجديدة بكالونجان في جاوه الوسطى مع زوجته الإندونيسية وابنتيه فاطمة وعائشة واستأجر منزلا بالقرب من مدرسة الإرشاد في هذه المدينة ، وبدأ اتصالاته مع إدارة المدرسة ، ومع أصدقائه الإرشاديين فيها ، ولكن ما أن أمضى أسابيع معدودة في هذه المدينة حتى حدث له حادث كاد أن يفقده بصره تماما .

كان الشيخ عبد العزيز يستعد للخروج من منزله لأداء صلاة الفجر حين انقض عليه رجل وضربه بسكين شك فيها جبهته وتركه مرميا على الأرض والدم ينزف منه ، ففزعت زوجته وطلبت النجدة ، وبخاصة الطبيب الذي جاء متأخرا بعد أن كاد الشيخ عبد العزيز يفقد حياته .

ولم يعرف السبب أو الفاعل في بادئ الأمر ، ولكن التحريات التي أجريت فيما بعد دلت على أن الجريمة هذه كانت مدبرة ، وكانت ردة فعل لتعيينه ناظرا في إحدى مدارس الإرشاد بدلا من الناظر السابق ، وهو من الحضارم ، وممن له أتباع كثيرون ومنزله عالية عند العرب الحضارم في تلك المدينة (بكالونجان) فهل دبر هذا الرجل هذا الاعتداء على الشيخ عبد العزيز حتى يفقده البصر تماما (بعد أن تلفت إحدى عينيه؟) إن الشواهد تدل على ذلك لذا شعر أصدقاء الشيخ عبد العزيز من الإرشاديين بالإحراج الشديد الذي سببه له هذا الهجوم على شخصية مثل الشيخ عبد العزيز الرشيد دونما جرم ارتكبه سوى أنه قبل تكليف زعيم الإرشاديين له بالعمل ناظرا في أحد مدارس الإرشاد في جاوه لقد كانت الصدمة للشيخ عبد العزيز الرشيد كبيرة ، ولكنه ليس الشخص الذي يستكين أو يخاف ، لقد قابل هذا الاعتداء بتحد كبير وهو عزمه على مواصلة العمل كناظر ومرب للنشء في تلك المدينة ، على الرغم من أن الشيخ عبد العزيز كان في غنى عن هذا المنصب ماديا ومعنويا ، فلم يكن الراتب سخيا في تلك السنوات ـ سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية ـ ولم تكن النظارة في إحدى المدارس بأفضل من العمل الصحافي شهرة وسمعة ، ولكن عشق الشيخ عبد العزيز للتربية وتعليم الأجيال الناشئة هو الذي جعله يصرف النظر عن العمل الصحافي إلى العمل التربوي . . ومع أن الشيخ عبد العزيز أثبت أنه مرب ناجح وتمتع بمحبة طلابه وزملائه المدرسين في عمله الجديد هذا إلا أنه حرم نفسه أولا وقراءه ثانيا حين

توقف عن إصدار الصحف ، فلم نعرف عن حياته خلال السنوات الثلاث التي قضاها في هذه المهنة سوى القليل ، فكانت الخسارة في توثيق سيرة حياته كبيرة ، وبخاصة أنه كان في مستوى من النضج الصحافي ما كان يؤهله لإصدار صحيفة ناجحة بعد أن مر بالكثير من الخبرات الحسنة والسيئة على السواء .

وكان الشيخ عبد العزيز خلال عمله ناظرا يراسل أصدقاءه في الكويت من أدباء وشعراء ، ويتعرف من خلال رسائلهم على الوضع التعليمي الذي طرأ على الكويت ، وبخاصة قدوم أول بعثه تعليمية فلسطينية لتنظيم التعليم في الكويت عام ١٩٣٦ ، ولتطويره ، كما كان يواصل الكتابه للملك عبد العزيز آل سعود ولديوانه الملكي حتى قرر أن يستقيل من نظارة مدرسة الإرشاد والعودة لزيارة الأهل ، بعد أن أخذ منه الحنين للأهل والوطن ما أخذ .

ولكنه قبل أن يترك جاوه إلى الكويت وجه خطابا إلى شيخ الأزهر محمود المراغي يستنكر فيه محاولة ترجمة القرآن ، كما كتب مقالة في جريدة «الفتح» المصرية (الصادرة في يوليو ١٩٣٦) ضمنها ما كان يراه من أسباب تحول دون الموافقة على هذا العمل الذي «لايخص مصر وحدها» كما قال ، بل كافة أقطار العالم الإسلامي . بدأ الشيخ عبد العزيز بعد ذلك يعد العدة للزيارة الثانية للوطن لزيارة أهله وأصدقائه بعد غيبة عنهم زادت قليلا على السنوات الثلاث ففي منتصف شهر ديسمبر من عام ١٩٣٦ ركب الباخرة ، وبعد أن مرت الباخرة في بومبي وصلت الكويت في ١٨ يناير عام ١٩٣٧ ، وعاد الشيخ عبد العزيز إلى أهله ووطنه .

الزيارة الأخيرة للوطن

بعـد أيام من وصـول الشـيخ عبـد العـزيز إلى الكويت وسكنه إلى أهـله ، بدأ بالتعرف على بوادر النهضة التعليمية في الكويت ، والتطور الذي أدخل في المدارس بعد وصول البعثة التعليمية الأولى من القدس ، كما عرف عن عزم معارف الكويت افتتاح مدارس للبنات ، هذا بالإضافة إلى زوال المعارضة التي كانت تقف في وجه تحديث وتطوير المناهج الدراسية ، فزاد ذلك من حماسه ، وهنا يبدو أنه قرر أن يضع حدا لغربته ويعود نهائيا إلى وطنه للمشاركة في هذه النهضة التعليمية المباركة .

قام الشيخ عبد العزيز بعد ذلك بتزويج ابنه عبد اللطيف وابنته البكر دلال ، واشترى لهم منزلا جديدا في ضاحية الصالحية الجديدة آنذاك ، وأخبر والده عن عزمه على السفر إلى جاوه ، ولكنه أكد له أن غربته هذه المرة لن تطول . وترك الشيخ عبد العزيز الكويت في مايو ١٩٣٧ في طريقه إلى البحرين ثم إلى الرياض ثم إلى الحجاز ، حيث قابل في الطائف صديقه الأديب عبد الله السليمان المزروع ، الذي لاحظ أن الشيخ عبد العزيز «كان ممتلئا صحة ونشاطا» فأخبره عن عزمه على العودة إلى الكويت ، وأكد له أن غربته هذه المرة لن تطول ، وبعد أن ودعه ركب الباخرة في طريقه إلى جاوه .

وحين توقفت الباخرة في سنغفوره حل الشيخ عبد العزيز ضيفا على أحد زعماء العلويين فيها ، وهو السيد إبراهيم بن عمر السقاف ، وحين وصل إلى جاوه ذهب مباشرة إلى عائلته في إحدى القرى الجبلية القريبة من مدينة بوقور لكي يستريح عدة أسابيع قبل أن يعد نفسه لوداع هذا «الفردوس الإستوائي» الذي طالما تغنى بجماله ، ولكن الفسحة التي أتيحت للشيخ عبد العزيز في هذه الحياة قد قاربت حينئذ على النفاد ، فقد أحس بألم في صدره فأخذ إلى طبيب في جاكرتا لعلاجه ، ولكن الألم اشتد به فتوقف قلبه في الثالث من شهر فبراير عام ١٩٣٨ ، ودفن في مقبرة العرب في جاكرتا ، ولم يأت خبر وفاته إلى أهله وأصدقائه إلا بعد حوالي الشهر من وفاته ، ولم ينعه أحد من أصدقائه الإرشاديين في الصحف ، ولكن جريدة «أم القرى» الحجازيه الصادرة في ٢٩ أبريل ١٩٣٨ كتبت تقول :

« . . . المرحوم الشيخ عبد العزيز الرشيد . . معروف لهذه البلاد لمواقفه المشهورة في خدمة الدين الإسلامي ، وقد وافاه القدر المحتوم وهو في مهجره بجاوه ، وحيث كان يشتغل هناك بالتعليم والصحافة بعد أن تأدى به المطاف إليها . وقد كان رحمه الله من المشتغلين بالعلم والأدب والتأليف والخطابة والشعر والنثر ، وله في كل ذلك جولات واسعة تشهد له بالبراعة والتفوق» .

وأما صديقه الأديب عبد الله السليمان المزروع فقد كتب في مجلة «الفتح» المصرية (عدد ٦٠٩) في رثائه يقول :

« . . . وقد اجتمعت به في الطائف ، فذكر لي أحداثا وأحاديث مما لاقاه في مهجره ، وكيف صبر صبر الكرام ، وكان ممتلئا صحة ونشاطا ، وكان عازما على ألا تطول غيبته هناك ، فوافاه القدر المحتوم ، وفقدنا في شخصه الشهامة والنبل ، والعلم والفضل ، وإن الخسارة به لاتعوض ، وله مؤلفات جمة سنأتي على وصفها في فرصة أخرى إن شاء الله . وله مراسلات شعرية مع بعض أحرار العرب والوطن ، وإننا نأمل من شيخنا الأستاذ الشيخ يوسف بن عيسى القناعي أن يتفضل بجمع آثار الفقيد ، ويحفظها كذخيرة لمحبيه وعشاق أدبه وأصدقائه الكثيرين ، أحسن الله إليه حيا وميتا» .

لقد كان الشيخ عبد العزيز رائدا من رواد النهضة التعليمية والصحافية والأدبية في الكويت ، ولقد تميزت ريادته هذه في كتابته لأول تاريخ لبلده لازال من أهم المراجع في موضوعه بعد مرور ٧٥ عاما على كتابته ، وفي إصداره لأول مجلة في بلده ، مازالت مصدرا مفيدا وهاما لتاريخ الكويت ومنطقة الخليج ، ولقد قام بأعماله الريادية هذه على الرغم من أنه لم يكن ميسور الحال ماديا ، وحين مات وترك وراءه عائلة لم يترك لهم من المال الشيء الوفير .

ولقد كانت لديه مقدرة كبيرة على التحمل بالرغم من ضيق الصدر الذي ابتلى به فلم يذق طعم الراحة معظم حياته ، كما كانت لديه روح التحدي والصبر على المكاره . ولقد كان الشيخ عبد العزيز متعدد المواهب والاهتمامات فقد كان أديبا ومعلما وشاعرا وخطيبا يهز النفوس ويحرك المنابر ، كما كان سائحا ورحالة ، وصحافيا ورجل تاريخ ، ولو أنه عشق السياسة لكان له

فيها أثر يذكر . لقد كان مخلصا في مساعيه ، ولكنه لم يسلم من الأخطاء ، كما عد متسرعا في بعض أعماله مما سبب له من الانزعاج النفسي والبدني الشيء الكثير .

والعجيب أنه أتى بكل هذا وهو لم يتجاوز الخمسين من العمر ، فما عساه سيقوم به من أعمال لو قدر له أن يعيش سبعين أو ثمانين عاما في وطنه بعد أن تجمعت لديه من الخبرات الكثيرة والغنية ما تجمع ؟ وبعد أن استفاد من أخطائه ومن الخبرات السيئة التي مر بها ؟ لقد كان في آخر سنة في حياته عازما على العودة للوطن للمشاركة في تلك النهضة التعليمية التي لمس بوادرها في الكويت ، ولكن القدر لم يمهله لدفع كل ما عليه دين للوطن ، فمات ميتة الرخص في بلاد الغربة ، ولم يصل نبأ وفاته إلا بعد أسابيع طويلة عن طريق البريد ، ولم نعرف مشاعره ووصاياه ، وهو يواجه الموت بعيدا عن أهله وأصدقائه ، وهو الشاعر ذو العمق الكبير والحس المرهف . لقد كان موته على الصورة التي مات بها ، وفي السن الذي مات فيه خسارة للكويت وأهلها ، لذا نجدهم اليوم يعبرون عن وفائهم له ولأعماله بذكره الدائم ، وباعتباره واحدا من رواد النهضة فيهم .

فرحم الله الشيخ عبد العزيز الرشيد ورحم إخوته ورفاقه من رواد النهضة في هذا البلد المحروس .

يعقوب يوسف الحجي

٢٠٠١/١/١٧

نماذج من بعض كتابات الشيخ عبد العزيز الرشيد وآثاره

(١) مقدرته على الوصف (رحلة من البحرين إلى الأحساء)

(٢) رأيه في القديم والجديد (رأي يعتبر عصريا)

(٣) نموذج من التراجم ا لتي كان يكتبها وينشرها في مجلة (الكويت)

(٤) نموذج لإحدى محاضراته عن (الخطابة عند العرب)

(٥) نموذج من أشعاره (حين كان في إندونيسيا)

(٦) رأيه العصري في نظرية (دارون) للتطور نشره في (مجلة الكويت)

(١)

مقدرته على الوصف

(رحلة من البحرين إلى الأحساء)

رحلة صاحب هذه المجلة
من البحرين إلى الاحساء

لم يبق جلالة الملك عبد العزيز آل السعود في البحرين بعد تشريفه إياها من رجوعه من المؤتمر الذي أشرنا إليه سابقا إلا نحو ثلاث ساعات ثم سار منها قاصدا الأحساء .

وثلاث ساعات يقضيها جلالته في مثل هذا القطر الذي يحمل له أهله والجاليات الأجنبية من الود الصادق ما لا يحملونه لسواه من شأنها أن تذكي نار الشوق في قلوب المتعطشين إلى رؤيته والتمتع بحديثه العذب ولا سيما من كان مثلي مع جلالته .

وهذا ما حدا بي أن أصمم على السفر إلى الأحساء بعد أن شرفها جلالته قياما بواجب التحية التي لم يسمح لي الوقت بالقيام بها وانتهازا للفرص التي تمر مر السحاب ، وبالأخص وقد صادف هذا العزم عطلة العيد لمدرسة الهداية الخليفية التي كنت أحد معلميها .

فتوكلت على الله فيما عزمت وركبت سفينة (بخارية) أعدت لنقل البريد وحاجات جلالة الملك المتنوعة من البحرين إلى العقير .

وقد تفاءلت باسم تلك السفينة (سعودى) أن السعد سيكون رفيقي في هذه السفرة على قصرها مبتدأ ونهاية ، ولا بأس من الاطمئنان إلى مثل هذا التفاؤل فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يرتاح كثيرا كما ثبت عنه في عدة أحاديث[1] صحيحة .

---

(١) عن بريدة (رض) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتطير من شيء وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه فإن أعجبه فرح به ورؤى بشر ذلك في وجهه وإن كره اسمه رؤى ذلك في وجهه ، فإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه فرح بها وإن كرهه عرف ذلك في وجهه أخرجه أبو داود ، وعن أبي هريرة (رض) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع كلمة أعجبته قال أخذنا فالك من فيك أخرج أبو داود ، عن أنس (رض) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع يارا شديا نجيح أخرجه الترمذي ، وعن عروة بن عامر القرشي (رض) ذكرت الطيرة عند رسول الله(ص) فقال : أحسنها الفال ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك أخرجه أبو داود .

ولماذا لا تكون السفرة سعيدة وقد حظيت فيها بمقابلة حامي بقية الإسلام في يوم خذله أبناؤه ومالأوا أعداءه عليه وفزت من جلالته بعدة مجالس اقتطفت من أشجارها ثمار الفوائد العزيزة والتقطت من أبحاثه النافعة دررا منيرة سأحلي بها جيد (الكويت) العاطل ، ولماذا لا تكون سعيدة وقد شملني بعطفه العميم ولطفه الذي أنساني كل شقاء وعناء ، فلله هي من سفرة مباركة ولله هي من سفينة أقلتني إليه .

سارت السفينة من ميناء البحرين نهار ٢٩ رمضان الساعة ٦ عربي ووجهتها (العقير) بعد أن شحنت نقودا ولوازم لجلالة الملك من آل القصيبي الكرام معتمديه الأمناء في تلك الأرجاء . سارت والجو صاف والهواء طلق والريح معتدل لا بالشديد المزعج ولا بالساكن الذي لا يتحرك والبر يؤنسنا بمنظره البهيج والسفينة كما قيل فيها :

يشق حباب الماء حيزومها بها
كم قسم الترب المغائل باليد

وما زالت كذلك إلى أن رمت قلاعها في ميناء (العقير) الساعة ١ من ليلة العيد ولم أبق في تلك الميناء إلا نحو ثلاث ساعات تقريبا ، ثم استأجرت دابة في الليلة التي وصلت فيها رغبة مني بالتعجل وقد كانت هي الدابة الوحيدة إذ ذاك في ميناء (العقير) لانتقال (المكارين) بالتأهب للعيد في وطنهم وهذا ما ترك صاحبها يتقاضى الأجرة مني ضعفي ما كان يتقاضاه من سواي في غير هذا الوقت .

وفي الساعة ٤ امتطيت ظهرها وصاحبها على (مطية) مثلها وبهذا خرجت ولله الحمد من شؤم الصحبة التي قال فيها الشاعر :

إن الحمار مع الحمير مطية
وإذا خلوت به فبئس الصاحب

سارت المطيتان تتباريان والسبق بينهما سجال ورفيقي (الظريف) يطربني

بصوته (الشجي) الذي لا فرق عندي بينه وبين صوت (مطيته) وكان هذا ديدنه معي طيلة الطريق الذي أصابني فيه من التعب ما لا عهد لي فيه . . تعب شديد كانت الأمعاء من جرائه تضطرب والمفاصل تتألم والأعضاء يشكو بعضها إلى بعض فلا تسمع إلا قول الشاعر همسا :

ولـولا المزعـــــجــــات مـن الـليــــــالي
لمـــا تـــرك الـــقـــطـــا طـــيـــب المـــنـــام

أما ما يلاقي ظهر الدابة من الجسم فلا تسل عن مضضه التي تنتابه وماذا تقول في عضوليّن يصادم قطعة من الخشب مشدودة بحبال خشنة وليس ثمة إلا وقاية خفيفة لا تسمن ولا تغني من جوع .

وكنت لجهلي بشأن الطريق لم آخذ له الأهبة كما كان يأخذها غيري من أكثروا الترداد فيه وقد قيل (من تردد في شيء أعطى حكمته) ولولا تفطن صديقنا الفاضل السيد سليمان بن السيد صالح الذي استضفته في (العقير) للأمر وتفضله عليّ (بجاعد) أضعه على ظهر الدابة لكان الألم شديدا .

والحق أن سبع ساعات على ما وصفت وعلى مثل تلك الدابة (الخفيفة) وفي مثل ذلك الطريق الذي أصبح تراكم رمله عبأ ثقيلا على قطاعه وفي مثل تلك الليلة التي اشتد بردها وكثر طلها ولم يتخلل الجميع إلا دقائق للصلاة أو للاستراحة . الساعات متعبة حقا ولا سيما على من لم يتعود مثلها منذ نعومة أظفاره وقد زاد الطين كما يقولون (بلة) أن أضلّ صاحبي الطريق برهة حصل لي في خلالها من الهواجس ما زاد التعب أضعافا وإليك الحكاية كما هي .

نزلت من دابتي لبعض الشؤون وكانت شنشنة صاحبي معي في مثل هذه الحال أن يستحثني على الإسراع إلا في هذه المرة فقد ظل صامتا وبدرت منه حركات لم أره قام بمثلها من قبل حركات متناقضة قلت في نفسي عندما أبصرتها منه يا ترى هل أصاب صاحبي مس من الجن في حندس الظلام أم أن له في عمله مغزى لا يعلمه إلا إخوانه (الحمّارون) .

أبصرته يقوم ويقعد ويرفع رأسه إلى السماء تارة ويحطه إلى الأرض أخرى وهو كالمذعور الذي لا يدري من أين يأتيه الخطر وهناك بعد أن أكثر من تلك الحركات المتناقضة قلت له :

ـ مضى الليل يا (فلان) فما لك لا تمشي؟

ـ صل على النبي ، فالأمر لا يعنيك . وقد صليت على النبي صلى الله عليه وسلم كما أمر وقد بقيت على أحر من الجمر أنتظر منه الجواب وأخيرا بعد أن عيل صبري من أعماله الغريبة وصموته الطويل قلت له أيضا :

ما الذي أصابك يا (فلان) فتركك مذهول العقل ، ولماذا لا تعجل بالمسير قبل فوات الوقت؟ فقال والاستياء باد في كلامه وهيئته :

ضللت الطريق وتهت السبيل وأنت المسبب لكل ذلك بنزولك .

الأمر بسيط يا صاحبي فدعنا نسترح الآن إلى أن يطلع الفجر وبعد أن ينتشر نوره ونعرف جهتنا نسير على بركة الله تعالى ، والظاهر أن قولي هذا لم يرق له فقد سكت ولم يجبني بشيء وظل منهمكا في البحث عن طريقه . وهناك وقد عرفت جلية الأمر رأيت الواجب يقضي أن أشارك صاحبي في تنقيبه لعل الله يهدينا إلى الصراط السوي .

وقد هداني الله من فضله إلى سواء السبيل بعد البحث عنه في السماء ذات النجوم وفي كواكبها المنيرة وإذ ذاك قلت لصاحبي :

انظر (يا فلان) إلى هذا النجم المضيء فإنه كان عن يميننا جل الطريق إلى أن نزلنا فتعرف الطريق منه فعنده الخبر اليقين والظاهر أني أصبت المرمى بما قلت غير أنه لم يشأ أن يعترف لي بذلك لئلا يظهر أمامي بمظهر الجاهل في طريق قضى شطرا من عمره فيه وللتضليل عاد سيرته الأولى في التنقيب ثم بعد هنيهة قال :

اركب يا (فلان) فقد اتضح لنا السبيل فركبت كما أمر وسرنا جميعا إلى الجهة التي عنتها له ونحن في أشد التحفظ من الضلال مرة أخرى إلى أن ولجنا باب (الهفوف) عاصمة الأحساء الساعة ٥ في يوم العيد .

(رحلة من البحرين إلى الأحساء)

الوصول إلى الأحساء ومقابلة جلالة الملك فيها

(٢)

دخلت (الهفوف) عاصمة الأحساء ومقر الحكومة ووجهتي إلى مضيف جلالة الملك المفدى الذي أصبح مجمع الوفود مختلفي الجهات متبايني الأغراض . نزلت رحبته الواسعة ولكن بعد أن غادر جلالته مجلسه العامر الذي قضى سحابة نهاره فيه لمقابلة المهنئين له بالعيد السعيد من وجهاء الأحساء وأعيانها وعلمائها وأدبائها . وبقيت هناك في انتظار ساعة المقابلة التي أخذت أحسب لها ألف حساب والتي أشغلت مني الفكر إشغالا لم يحصل له نظير من قبل .

وما بلغت الساعة سبعا ونصفا تقريبا بعد أن صليت وصلى جلالته الظهر إلا وداعيه الكريم يدعوني إليه .

ـ أجب الشيوخ (يا فلان) فقبلت الدعوة مسرورا ونهضت من مكمني عجلان وسرت أقتفي أثر الرسول حيث الجهة التي شرفها جلالته وبسط فيها رواق تسليته وقد ازداد لهب الشوق في الفؤاد على حد قول الشاعر :

وأعظم ما يكون الشوق يوما

إذا دنت الخيام من الخيام

وكنت وأنا سائر أحدث نفسي بالساعة التي سأفوز فيها بمقابلة من أعز الله به الإسلام والعرب وتخللت هيبته الدور والبيوت في شرق البلاد وغربها وأنسى بعبقريته الفذة سائر من تقدمه من ملوك وأمراء وأقول في نفسي يا لها من ساعة سأمتع فيها للسمع بحديث جلالته الجذاب ، وأتملى بطلعة وجهه المنير . . ساعة سأجلعها حادثا تاريخيا في سجل حياتي التي قضيت شطرها بين أنياب البؤس والعناء وأذهبت زهرتها يد المصائب والويلات .

ولقد ألقي في روعي وأنا غارق في بحار التذكرات المؤلمة أن ستكون تلك الساعة هي آخر مرحلة أودع فيها أنواع البلاء الذي ألح عليّ إلحاحا ومزج

العظم باللحم وأنها ستكون مبدأ حياة طيبة أقضيها تحت رعاية جلالته الشاملة في ظل حمايته الناعمة أي جهة حللت وأي قطر نزلت وقد كان ولله الحمد كل ما تمنيت وقدرت .

تقدمت إلى جلالته بعد أن أخذت الأيدي تتناولني إليه من محل إلى آخر حتى حظيت بالمثول بين يديه في مجلسه الزاهر الرهيب . وهناك تشرفت بمصافحة يمينه المباركة وتقبيل كتفه السعيد بعد أن نهض جلالته للتحية والسلام تواضعا وإكراما وقد شرفني جلالته بالقرب منه وبإجلاسي إلى جانبه وأخذ يؤنسني بعطفه وتحفيه وببشره الطافح على أسارير محياه وابتسامته العذبة التي أحسها لا تمحي من مخيلتي أبد الدهر ومباشرته التي أزالت عني كل وحشة واضطراب ، وزحزحت كل ما استولت عليّ من وساوس وأوهام كانت خامرتني من قبل .

فقد كنت أحسب قبل تلك الساعة أني سوف أقابل رجلا لا يتكلم إلا همسا ولا ينطق إلا تكلفا لا بشاشة ولا لطف ولا مباسطة ولا انشراح متغير الوجه منهوك القوى من متشعب الآراء التي كان يرسلها من ساعة إلى أخرى في تدابير ملكه الواسع الذي لا يفوته من أمره صغيرة ولا كبيرة وفي تعيين الخطط التي سيجري عليها في مستقبل أيامه بعد ذلك الانتصار الذي منحه ربه إياه على أولئك البغاة والطغاة وبعد تلك الأتعاب الشاقة التي صرفها لقطع شأفتهم وإخماد نارهم وأني سوف لا أفوز من جلالته إلا ببضع دقائق للسلام وما إليه وأني . . .

وقد يكون من أعذاري التي جسمت هذه الأوهام في نفسي قياسي لجلالته على أفراد عرفناهم لا يحسن أحدهم أن يكون من حاشيته فضلا أن يكون في درجته . . قد أخذ العجب منهم كل مأخذ غطرسة وكبر ودعوى وافتخار . . أفراد يرون ابتسامتهم المصطنعة في وجه جليسهم هي كل ما يجب أن يقدم إليه اغترارا بما لهم من مال نزر وجاه ليس بالعريض وإذا ما نابهم من الحوادث ولو حقيرها ضاق عليهم الفضاء وفرطوا حتى بالحقوق الواجبة فضلا عن المستحب والمندوب ، وهذا قياس قد اتضح لي أنه غير صحيح جرني إلى هوته ذلك الظن الخاطئ الذي عجبت كل العجب أن يقع مني مثله وأخبار جلالته في حلمه

الواسع وفي قوة شكيمته وطيب مقابلته لكل وافد إليه بلغت مبلغ التواتر وأغرب من ذلك أن يتسرب إلى ذهني شيء من هذا الوهم الساذج وأنا القائل في مدح جلالته من القصيدة التي نشرتها آنفا في الجزء ٤ و٥ :

أنت ملك وما سمعنا بملك
هو قاض وقائد وخطيب
وهو أنس الجليس إن ظل يبدي
لأمور يهتز منها الأريب
وهو مسلاة كل هم وغم
عن قلوب قد أحرقتها الكروب
قد سحرت العقول منك بنطق
هو در لكل لب خلوب
لك حلم وليس حلم ابن قيس
ودهاء به تزول الخطوب

إن هذا لغريب جدا ولكن دهشة المقابلة أسدلت بيني وبين الواقع حجابا من الاضطراب وتركتني أرتطم بغير الحقيقة فيما كنت أتخيله وهنا أعترف لجلالة مولاي بقصور فاضح أرجو أن يصفحه لأحد أبنائه المخلصين .

ثم أعود الآن فأثبت من أحاديث جلالته القيمة وآرائه الصائبة في الدين وما يمت إليه في هذا المجلس الزاهر وما بعده من مجالس أخرى أسعدني الحظ بالتلذذ وبأحاديث جلالته فيها . أثبتها على صفحات (الكويت) اليوم نشرا لحقيقة ما يدعو جلالته وذووه إليه وإلجاما لبعض أهل الأغراض بحجر الحجة والبرهان .

تحدث جلالته عن مواضع من الدين مهمة وعن نقط من العلم يجب أن يعنى بها ، فجلى بما قاله الغبار وكشف الغمة وأبرز الحق واضحا لذي عينين تحدث أدام الله ملكه عن حقيقة الدين الإسلامي وعن جهل أبنائه به . وعن النبي صلى الله عليه وسلم وبعثته وعما يجب له على أمته وأتى بنبذة صالحة عن شيخ

الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنشأ دعوته وتطرف إلى ذكر الحجاز وفتحه وأسباب ذلك وذكر بعض الأسفار الدينية الثمينة التي عمم نفعها بالطبع وأوقفها لله تعالى على طلاب العلم وأبرز ما يخالج ضميره من الآمال الكبيرة بنشر ما يهم منها في مستقبل أيامه مما لا غنى للطالب عنه قياما بواجب هذا العلم الذي أغفله أهله وتركوه نسيا منسيا . تحدث جلالته عن كل هذا وعن غيره من مختلف الأبحاث الطلية اللذيذة حتى في الأدب والتاريخ وفي التصوف أيضا بأسلوبه العذب وفصاحته العربية الخلابة وحجته المبينة التي تبعثر ما في ذهن سامعها من شبه وينقاد لها كل خصم منصف طائعا مختار .

ويالله من أسلوبه في حديثه سهولة في التعبير ووضوح في البيان وارتباط بين المعاني دقيق ومهارة في الانتقال من موضوع إلى آخر بما لا يحس المصغي لحديثه بالانتقال منه إلى ما سواه لا تكلف ولا ترديد ولا تلعثم ولا عي كل هذا بديهة وارتجال على حد قول الشاعر القائل :

وهذا بديه لا كتحبير قائل
إذا ما أراد القول زوره شهرا

وإليك بعض هاتيك الأحاديث النفيسة التي لنا وللكويت الشرف بنشرها .

نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

قال أدام ملكه ما معناه

امتن الله على هذه الأمة المحمدية ببعثة ذلك الرسول الكريم الذي أسعد به العالم أجمع وأحيا به الذين بعد موته وأمات الشرك والضلال . الرسول الأمي الأمين الذي منحه الله تعالى السيادة على سائر خلقه ولا فخر وختم به المرسلين ولا فخر وخصه بخصائص لم ينلها أحد من إخوانه عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

منحه تعالى الشفاعة العظمى التي ستنال إن شاء الله تعالى بإذنه جل جلاله كل من مات من أمته لا يشرك به شيئا وأمر أتباعه أن يسألوها له عليه السلام كلما سمعوا داعي الفلاح ينادي الخلق إلى الحق (اللهم آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد) وشرط تعالى لصحة الاقرار له بالوحدانية الاعتراف له عليه السلام بالرسالة (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) وقرن اسمه تعالى باسمه في عدة مواطن فلا يذكر إلا ذكر بجانبه إعلاء لقدره ورفعة لشأنه وأنيط صحة بعض الوظائف الدينية بالتنويه به عليه السلام والشهادة له بأنه رسول إلى الخلق من الله الحكيم الحميد في الأذان والإقامة وفي المشهدين الأول والأخير في الصلاة وأمر من آمنوا به أن يصلوا عليه صلى الله عليه وسلم اقتداء به وبملائكته المقربين (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ومن عظيم شأنه الصلاة عليه صلى الله عليه أن خطبة الجمعة والتشهد الأخير في الصلاة عند الإمام أحمد لا يصحان إلا بقول المصلي والخطيب (اللهم صلى على محمد) .

* عن مجلة «الكويت» للشيخ عبدا لعزيز الرشيد عدد (٨, ٩, ١٠) .

(٢)

القديم والجديد

في القديم كما في الجديد محاسن ومساوئ ، وفي القديم كما في الجديد فضائل ورذائل وفي ساحة كل منهما كمال ونقص .

إذا فمن التعصب الذي لا يحتمل أن يرفض أحدهما بكل ما فيه ويؤخذ الثاني بأجمعه لا لشيء إلا لأن هذا جديد وذاك قديم ولا أحسب من يرفع عقيرته بهذا إلا قد سد على نفسه الطرق وهد حصن مذهبه بيده وأعطى خصمه سيفا يجز به عنقه .

وما دمنا نعرف أن الحكيم هو من لا ينظر إلا إلى ما يبقيه العمل من أثر غير معتد بعده بمصدره ومنشأه نعلم جيدا مبلغ الخطأ الذي سلكه الفريقان ومبلغ ما أوتوه من تحقيق ومقدار أنصافهم الذي له يدعون .

من الغريب جدا أن يرفع علم هذين المذهبين رجال يدعون العلم والعقل وقد علموا كما علمنا أن الحكمة ليست ملكا لفرد دون آخر ولا حصة لأمة دون أختها ولا مزية لوقت من الأوقات وأن انتشارها في كل قطر وزمان كانتشار الأثير في الفضاء وقد أبيح تناولها لكل من أرادها (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها) كما قاله المشرع الأكبر صلى الله عليه وسلم .

وقد يوفق دعاة الحزبين بعض التوفيق لو كان ما ذهبوا إليه معقولا وقد أظهروا في سبيل الدعوة إليه قصدا حسنا وجلبوا لتأييده من البراهين ما ينزع كل ما في النفس من إشكال وارتياب .

أما والأمر كما علمت فما أخسر الصفقة وأعز التوفيق وأقل الأعوان . أيريد دعاة الجديد أنصارا منصفين ومنهم من يدعو لرفع اللغة العامية على الرؤوس ورمي اللغة الفصحى في بئر النسيان وهي لغة الدين والقرآن ولغة النبي عليه السلام . أيريدون أعوانا ومن زعمائهم من يضرب الدين بمعول إلحاده ويحاول هدم قواعده بتشكيكاته ضاحكا على تعاليمه . . المقدسة . ساخرا بما فيه من عقائد وأحكام . أيريدون التوفيق وقد حاولوا بعد العبث باللغة العبث بقواعدها يريدون فوق هذا استبدال أخلاقه الطاهرة بأخلاق الفسق والفجور . إنهم والله

ليريدون ما أسهل من الحصول عليه حمل الجبال .

لو كان من دعاتهم من أصبح مثالا حسنا في أخلاقه مثالا حسنا في عقيدته مثالا حسنا في آرائه ليحبب مذهبه إلى مبغضه وليكون قدوة حسنة لمن يدخل فيه لكان من الهين اجتذاب بعض أهل العقول والأفكار إليه ولكن هيهات ولا هذا ولا ذاك . . أما دعاة القديم فقد يعجبك منهم ما يتظاهرون به من دين وتقى وما يدعونه من حمية على الحق والهدى ولكن يسوؤك منهم اختلال في أفكارهم ، ونقص في عقولهم ، وقصر في أنظارهم ، وتسوؤك منهم أخلاق تزهد فيما يدعون إليه ، كسل عن العمل وضيق في الصدر وضعف في الحجة وتعصب لا تحمد عقباه .

ومذهب هؤلاء دعاته محتوم عليه بالفشل لا محالة ولو ملأوا الفضاء صياحا وعويلا ، فالتاريخ يحدثنا بذلك ويحدثنا بأن المذاهب لا تقوى على البقاء ومكافحة الأعداء إلا بدعاة أكفاء لهم من متانة المعارضة وقوة البرهان وشرف الأخلاق ما يكتسحون به كل ما في طريقهم من عراقيل وإلا فمآلها الاضمحلال ومآل دعاتها الهزيمة وبالأخص أمام خصوم عُرفوا بشدة البأس وبالاستماتة في سبيل ما يدعون إليه وبالبصيرة بالجدل والثبات على العمل وهذا ما يدعون نرجح انتصار الجديد على القديم وأهله اليوم ونكاد نرجح انتصاره عليه إلى الأبد أيضا لولا ذلك الحزب المعتدل الذي وقف له بالمرصاد وهو أقوى شكيمة وأمضى سلاحا وأصح برهانا حزب الحق الذي يريد أن يتناول من المذهبين كل جميل ويرفض منهما كل قبيح .

* مقالة للشيخ عبد العزيز الرشيد ـ مجلة الكويت العدد الأول .

(٣)

نموذج من التراجم التي كان يكتبها

عبدالله آل فرج

(١)

مضى لهذا الفاضل رحمه الله وقت في الكويت لا يسمع إلا صوته ، ولا يرجع إلا إلى رأيه في الأدب والشعر حتى لا يعد غريبا إذا قيل إنه كان شاعر الكويت وأديبها يوما ما .

وهو في النبط أشعر منه في العربي وقد يصح أن يكون هو الشاعر العربي الوحيد في أيامه إذ لم نعرف شاعرا في الكويت إذ ذاك كان في وسعه أن يجاريه بل لم نعرف شاعرا غيره يحسن أن يحفظ شعره ويتمثل به ويتداوله الناس إذ ذاك .

طبع له الأديب الفاضل خالد بن محمد آل فرج ديوانا في بمبي ضم كثيرا من شعره النبطي الذي نبغ فيه وفاق أقرانه ونظرا إلى أن هذا الفاضل من أقاربه ومن أعرف الناس به وبأحواله فقد طلبنا إليه أن يتحفنا بترجمته فلبى وأجاب وهاك هي بقلمه قال :

أصله ومنشؤه

عبدالله بن محمد بن فرج آل الصراف من عائلة تنمي إلى بطن المناديل من قبيلة الدواسر الكبيرة المشهورة كانت تسكن بلدة (نزوى) من وادي الدواسر وهاجرت في أواخر القرن الحادي عشر من الوادي لأسباب مجهولة وتجولت في ضفاف الخليج الفارسي إلى أن سكن والد المترجم محمد مع أخيه الكبير عبدالله مدينة (الزبارة) من بلاد قطر التي كانت عامرة في ذلك الوقت وكانا يزاولان التجارة على مركب شراعي لهما بين الهند وبلاد العرب وبعد خراب الزبارة المشهور انتقلا بعائلتهما إلى مسقط ثم إلى الكويت واتخذاها وطنا لهما وفيها ولد المترجم سنة ١٢٥٣ وسكن أبوه مدينة بماي الهند وجمع بها ثروة طائلة حتى قال لمن نصحه : أن يجعل من بعده وصيا على ابنه عبدالله أنني خلفت له ثروة لو طحنها برحى طول حياته لما نفدت

ولكن المترجم قضى عليها في بضع سنين .

ولد في الكويت ونشأ بها وترعرع فذهب إلى أبيه في مدينة بومباي فنشأ نشأة أبناء الأغنياء المترفين محبا للبذخ والسرف فتجول في البلاد الهندية وتعلم اللغة الأوردية وقرأ آدابها وأولع بعلمي الموسيقى والرسم لميله الفطري إلى الخيال وعدم المبالاة بالماديات ثم توفي أبوه في بومباي فاستولى على ثروته الطائلة وبذرها في سبيل البذخ والترف بإسراف . ويحكى عنه من هذا القبيل حكايات لا تكاد تصدق ثم رجع إلى الكويت واكب على الأدب العربي ومطالعة كتبه مائلا إلى الخلوة والابتعاد عن الناس لكونه في وسط لا تلائمه المعيشة فيه فكأنه غريب بين أهله ومواطنيه وظل يقاسي آلام العوز المرة ، ومن قرأ مرثيته لأبيه يعلم مقدار الآلام التي كان يعانيها . توفي بداء الصدر سنة ١٣١٩ .

شعره

ينقسم شعره إلى نوعين . . الشعر العامي المسمى النبطي والشعر العربي الفصيح والشاعر من رقت روحه وصفا طبعه بصرف النظر عن اللغة التي ينظم بها على أن أشعاره النبطية نالت الحظ الوافر من تصوراته وشعوره الرقيق لكونه ينظمها بلغته السلقيية غير مقيد بقيود ومن سبقه من الشعراء بخلاف أشعاره العربية التي يتقيد فيها بالقيود اللفظية والاصطلاحات اللغوية التي قضت عليها النهضة الحديثة فالبلاد التي طاف بها في صباه والآداب الهندية التي تضلع منها أثرت في نفسه وجعلته يغير أسلوب الشعر النبطي ويقلب طريقته فهو حر بأن يكون أول رافع لعلم النهضة في الأشعار النبطية فقد برز فيه وبذ أقرانه من معاصريه حتى ضرب المثل ببلاغته وجرت أشعاره على الألسنة مجرى الأمثال على أن القيود التي كان الشعر العربي مقيدا بها ذلك الحين لم تحل دون أن تتغلغل روحه اللطيفة أحيانا فيما ينظمه من القصائد التي يتكلف نظمها لأسباب قهرية .

التراجم
عبدالله آل فرج
(٢)

أتينا في الجزء الأول بنبذة من ترجمة عبدالله آل فرج الأديب الكويتي المعروف رحمه الله وقلنا إن له يدا في الشعر العربي والنبطي معا فيليق بنا هنا أن نورد نماذج من شعره في كلا الفنين ليكون مرآة لشعره وحده ومعرضا للأدب في أيامه قال رحمه الله يمدح الرسول عليه السلام . .

نبي زكي صادق ومصدق
وفي صفي مستطاب مؤدب
ترفع من أصل رفيع وعنصر
كريم إليه الفخر يعزى وينسب
هو المفرد الاكسير والجوهر الذي
بأسراره الأمثال والوصف يضرب
هو النقطة الغراء والعلة التي
بتكيفها الآراء لا تتقلب
لقد سبقت فيه مشيئة ربه
وقد غلبت أن المشيئة تغلب
نبي رآه الله سرا لكونه
وما هو للأكوان إلا المسبب
فكونه في الذر نورا مقدما
بواريه من نور حجاب مطنب
إلى أن أبان الله إيجاد آدم
وما آدم إلا لخير الورى أب
فأودع ذاك النور طاهر صلبه
فأشرق منه بين عينيه كوكب

---

(١) تابع لما نشر في ج١ ص ٢٤ .

فـمـازال حـتى أن حـوته كـريمة

حـصـان لهـا دين التـعـفف مـذهب

ومنهـا أتى الدنيـا فـضـاءت بنوره

فكم من تجلى نوره انجـاب غـيـهب

وفي ليلة الميـلاد كم من كـرامـة

توالت لطه برقـهـا يتـألب

فلله مـا فـيـه الهـواتف بشـرت

لنور به قـد ضـاء شـرق ومـغـرب

وكم مـعـجـزات قـد بدت برضـاعـه

يصـدق بالآيات منـهـا المكذب

لقـد جـاء طفـلا بالمزايا ويافـعـا

وألف نسكافي الجـديدين يعـجب

وحـالف أفـديه عـبـادة ربه

وليس بشيء غـيـرها كـان يرغب

وظل بهـا يسـمـو تقى وترهـبـا

فكم في حـراء بان منه التـرهـب

ومـازال مكلوءا تقـيـه وقـاية

من الله حـتى حـان مـا يتـرقب

فلمـا نما الإسـلام واعـتـز أهله

غـدت عـرقـا منه العـدى تتـصـبب

دعـا والورى كـالعـمي في جـاهليـة

ومـذهبـهم في الجـهل لهـو وملعب

عكوف على أصنامـهم يعـبـدونهـا

وليس لهم رب سـواهـا ومـذهب

أتـاهـم وليـل الغـي ملـق رواقـه

عليـهم وصـبح الرشـد عنهم مـغـيب

فـأظهـره المختـار بعـد خـفـائه
فـقـامت به أجـزاؤه تتـركب

إلى أن قال :

لقـد نصـرته أمـة حنفـيـة
لهـا في التـقى والدين في الله مـشـرب
مـهللة لله عـز وجـوهـهـا
بهـا يعـمـر الإسلام والكفـر يخـرب
مـن القـائـمين الـليل ذكـرا لربهـم
إلى حـيث مـا يبـدو من الصـبح أشـيب
رجـال لعـمـري قـد أنابوا وأخلصـوا
وبالعـمل المسـرور حـقـا تجلبـبـوا
وسـاسـوا أمـور الحـرب حـتى بدت لهم
غـوامض منهـا عن سـواهم تحـجب
فـمـا منهم إلا الكمين أخـو الوغى
ومـا منهـم إلا الحـسـام المجـرب
ويغـدون خـيـر الناس صـفـوة ربهم
بأنفـسـهم حـيث العـدى تتـرقب
وحـيث رحى الحـرب العـوان بمأقط
تـدار ونـيـران الـوغـى تتـلـهب
إذا وردوا حـوض المـنـايا فـإنما
لهـم فـيـه عند الله قـصـد ومطلب
يسـوغ عليـهم طـعـمـه وهو علقم
ويسـهل فـيـهم وقـعـه وهو يعطب
فـمـا الأرى أحلى عندهم من لقـائه
ولا الشـهـد في أفـواههم منه أعـذب

يقـــربهـم إقـــدامـــهـم من عـــدوهـم
وتحـــملهـم طيـــر من الخـــيل شـــزّب

مـــداعـــيس لا يخـــشـــون مـــاذا عليـــهـم
تجـــر صـــروف الحـــادثـات وتجلـب

يلبـــون أمـــرا من رســـول مـــفـــضل
على الرسل في الرحـــمن يرضى ويغـــضب

إذا مـــا دعـــاهـم للكريهـــة لم تجـــد
بهـم عن رســـول اللـه من يتـــعـــقب

فـــتلـك رجـــال اللـه والأبحـــر التي
بصـــبـــهـم روض الهـــداية يخـــصب

وله في الغزل وقد التزم فيه الجناس كما تراه . .

لقـــد ذكـــر العـــقـــيق فـــهـــام وجـــدا
ولولا الوجـــد مـــا ذكـــر العـــقـــيـــقـــا

فـــســـاقـط منه خـــاتمة الدراري
على العـــافي ونرجـــســـه العـــقـــيـــقـــا

غـــزال مـــا الحـــريق بوجنتـــيـــه
بمحـــرقـــهـــا ولو سكن الحـــريقـــا

عـــجـــبـــت بخـــده نار ومـــاء
وذالك منه مـــا يطفي الحـــريقـــا

فلو لم يجـــر مـــاء الحـــسن منه
بصـــحن الخـــد لم ينبت شـــقـــيـــقـــا

تـود بأن تكون الشـــمـــس أخـــتـــا
له والزبرقـــان أخـــا شـــقـــيـــقـــا

تقـــرط بالســـمـــاك وبالثـــريا
تمنطق فـــاغـــتـــدى غـــصنا وريقـــا

أخال الدر والشهد المصفى
ثنايا منه في فيه وريقا
يكاد لرقة يجري انسجاما
ألست ترى له جسما رقيقا
فلو ذو التاج أبصر ذا المفدى
لود بأن يكون له رفيقا
فساله ليسمعنا بفيه
مقالا منه أو معنى دقيقا
ونخشى أن نرى حربا رحاها
إذا دارت تغادرنا دقيقا
أحز مفوق السهمين لما
رمى عن قوس حاجبه الرفيقا
وهل أصمت من الناس الرمايا
له إلا الشفيق أو الرفيقا
يصيد قلوبنا بفخاخ سحر
وليس بمفلت منها وسيقا
فكم أبصرت صبا في هواه
إلى النيران نزجيه وسيقا
رفيع دونه الجوزاء تبدو
لقد وافى من الأملاك نيقا
يشرد وصله عني جهول
فلو أهوى ركبت عليه نيقا

«يتبع»

التراجم

ينشر فيه تراجم القسم الثاني من تاريخ الكويت الذي لم نطبعه إلى الآن ويزاد فيه من نرى بذكر تراجمهم فائدة عامة من الموجودين والماضين ولو كان خارجا عن شرط القسم الثاني من التاريخ .

عبدالله آل فرج
(٣)

قال يمدح سماحة السيد رجب نقيب أشراف البصرة رحمه الله ١٣٠٩هـ . .

سيغنيني الله عن فرج القريب[1]
ويأتي الله بالفرج القريب
ويشملنا بفضل منه حتى
يكون نصيبنا أوفى نصيب
يقول لي ابن ودي إذ رآني
أتوج بالثنا هام النسيب
وأنظم جاهدا بالمدح درا
يروق كلؤلؤ الثغر الشنيب
أبحت المدح حين عدلت عنه
أما منه حصلت على اللغوب
أتهدي من بنات الفكر ما قد
تقول بحسنها للشمس غيبي
إلى من أنت زفا تجتليها
فقلت له إلى (رجب النقيب)

---

(١) فيه جناس مع العجز وتورية باسم (فرج) ابن عمه فيكون القريب صفة لفرج أو يكون القريب وأحد الأقارب مضافا إلى فرج ضده الشدة .

إلى الكرم الخضم إلى المرجى
إلى الحسب النجيب إلى النسيب

إلى من في علاه يشيد سجعا
لسان الحمد مثل العندليب

زكى طاب أصلا ثم فرعا
فكم وافى بطيب بعد طيب

نشاهد في الرقاب له أياد
ودرا ثابتا وسط القلوب

تراه من الأذى عار نداه
ألا وهو البريء من العيوب

لقد ثبتت مروءته علينا
كمثل النقش في الحجر الصليب

لعمري أنه لفتى كريم
يرنح ذكره قلب الكئيب

متى تنزل به تنزل ببحر
يرحب بالبعيد وبالقريب

وروض من مكارمه موشى
سقاه كل هطال سكوب

فمحيا الروض بالصوب الموالي
ودر الضرع بالمغنى الخصيب

هنيئا للنقابة حين ألقت
عصاها عند ذي الحسب النسيب

وله لطائف في التاريخ تأتي موافقة لواقع الحال بدون تكلف فمن ذلك مطلع قصيدة يرثى بها ناصر باشا السعدون (نعم دك ركن المجد رزء بن راشد) ١٣٠٣هـ ومنها مطلع قصيدة أخرى يرثى بها الشيخ محمد آل عبدالرزاق

(لموت محمد عفت المعالي) ١٣٠٠هـ .

وقال مؤرخا وفاة قاسم باشا الزهير ١٢٩٥ . .

مـــضى حـــيث لا يثنيـــه صـــوت مـــؤرخ
يناديه يا ضــيــــفـــا على الله قـــادمـــا

وقال أيضا مؤرخا وفاة الشيخ خالد العدساني رحمه الله :

وقـلـت لمـا إن مــــــــــضى أرخـــــــوا
(دعـــــتـــــه جنان لأجـل الخلـود) ١٣١٨هـ

وقال مؤرخا بيتا بناه أحمد بن ياسين في أبي الخصيب من نواحي البصرة سنة ١٣١٠ وفي كل شطر من القصيدة تاريخ لبنائه .

رب فـــضل كـــأحـــمـــد ليس يجـــحـــد ١٣١٠
فـــابن ياسين فـــاضل عـــد يحـــمـــد ١٣١٠
بدر افق العــــلا ســـرى يتـــســـامى ١٣١٠
للفـــخـــار الحـــفي مع كل ســـؤدد ١٣١٠
حـــبـــذا منه في الندى البـــر مـــولى ١٣١٠
ســـام حلمـــا يخـــال في كل مـــشـــهـــد ١٣١٠
كـــــرم منه عـم خلقـــــا فــــجلى ١٣١٠
وجـــه صـــدق فـــحـــيـــث اتهم النجـــد ١٣١٠
قـــد أجـــزت الثنا أيا عـــابد القـــا ١٣١٠
در فـــاشـــمخ بحـــد جـــدك والجـــد ١٣١٠
إن بيـــتـــا شـــيـــدته عن أياد ١٣١٠
فـــهـــو زاه على الثـــريا مـــشـــيـــد ١٣١٠

كـعـبـة في أبي الخـصـيب نرى ألوف ١٣١٠

داليـهـا سـعـيـا لتـسـري وتجـهـد ١٣١٠

وقال مقرضا كتاب الآيات البينات للسيد عبدالوهاب بن السيد أحمد الموسوي النقشبندي وترى أيضا في كل شطر من القصيدة تاريخ لتأليف الكتاب سنة ١٣٠٧هـ . .

حـبي الكتـاب بمشـفـيـات ١٣٠٧

آي تجـلـت بـيـنـات ١٣٠٧

آيـات صـدق ارسـمـت ١٣٠٧

تـؤي لحـل المـشـكـلات ١٣٠٧

ونصـوصـهن تحـبـرت ١٣٠٧

أبـدا تـريـح مـعـنـعـنـات ١٣٠٧

هـن الشـمـوس بضـوئهـا ١٣٠٧

جـزمـت بـآيـات الأبـات ١٣٠٧

للأجـر منشـيـه اخـوا الـ ١٣٠٧

ـخـبـر الوجـيـز أبو الهـبـات ١٣٠٧

السـيـد المرضي في الـ ١٣٠٧

ـسادات في الحـسن الصـفـات ١٣٠٧

ذاك ابن أحـمـد من شـفى ١٣٠٧

وجـهـا وسـاد بحـسن ذات ١٣٠٧

والموسـوي الشـبل من ١٣٠٧

هـو كـالذكـاء بمعـجـزات ١٣٠٧

شـكـروا كـتـابك في الورى ١٣٠٧

أهـل الـنـهـي ذا والـولات ١٣٠٧

فاخر بسبق العلم يا ١٣٠٧
من عزفي المستحسنات ١٣٠٧

وقال وقد خرجوا إلى الاستسقاء والجو معتم بالغيم فلما شرع الإمام بالدعاء تجلى الغيم . .

خرجنا لنستسقي بيوم تراكمت
به المزن حتى غودر الصبح كالجنح
تقدم شيخ ذو عصاة ولحية
حكت ذنب السرحان من كاذب الصبح
فلما فرغنا من صلاة وبالدعاء
شرعنا تسري الغيم إذ شح بالسح
فعدنا معا والشيخ لم يدر أننا
خرجنا لنستسقي به أم لنستصحي

وله أبيات يؤرخ فيها وفاة صالح الزهير وقد التزم فيها لزوم ما لا يلزم . .

بكيت على ابن عبدالله من لي
صديقا كان في الدنيا مصالح
نعي آل الزهير غدا إلينا
أحب نراه من جل المصالح
قضى بليالي شهر الصوم نحبا
من الأعمال زور كل صالح
مضى فيها إلى النعما فارخ
(مضى فيها إلى العليا صالح) ١٢٩٠ .

التراجم
عبدالله آل فرج
(٤)

وقال يرثي علي بن محمد آل إبراهيم ويعزي الشيخ يوسف آل إبراهيم بطل هذا البيت الكريم ومقدامه رحمه الله تعالى :

نحن بنو الموتى نعد فمالنا
عند المصاب يروعنا المفقود
سيقودنا ما قاده ويضمنا
ما ضمه ويعمنا التلحيد
ما نحن فيها بين غادات الورى
إلا فرائس والمنون أسود
فتعيد أنفسنا برغم أنوفنا
أن المنية للنفوس تعيد
تمضي الحياة وكل شيء هالك
إلا الآله الواحد المعبود
كادت منازله تموت لموته
حزنا وتدرس بعده وتميد
شالت نعامته بيوم كاد أن
ينهد فيه الشامخ المعمود
أبني علي ما وجدنا صبركم
إلا كصبر ما عليه مزيد
فالصبر أجدر أن يصاحب مثلكم
كالعقل إذ هو عندكم معهود

صبرا على هذا المصاب لو أنه
يبكي لحر مصابه الجلمود
خطب ولكن لم يسع فيه الورى
إلا التجلد والعزا المحمود
لولاهما لم يحملوا ما نابهم
وهي الرزايا والخطوب السود
في ذمة الله المهيمن نازح
رهن الضريح عن القريب بعيد
وافاه فيه من العلي مراده
وأتى بحسب مراده المقصود
وعرته فيه من الجنان نسائم
تترى وأمطره العنان الجود
آليت لو كفل البكاء برده
لبكى عليه الطفل والمولود
يا أيها الباكون فقد أبيهم
أيها لو أن لنا البكاء يفيد
فأعيذكم بالله من أن تجزعوا
وأبوكم جم السرور سعيد
أو تجزعوا مما به حكم القضا
وقلوبكم يزهو بها التوحيد
من مات فات ولم يمت من ذكره
تحييه أبناء له وتشيد
ولئن بهم تلك الديار تباعدت
عنا ففينا (يوسف) موجود

التراجم
عبدالله آل فرج
(٥)
نموذج من شعره النبطي

لعبدالله آل فرج في هذا النوع من الشعر يد صالحة تفوق يده في الشعر العربي وله فيه إبداع يدل على تمكنه منه وله قصائد ومقاطيع تشهد بتفننه فيه واقتداره سنأتي بنماذج منها هنا تأييدا لما قلناه عنه رحمه الله ولأن هذا الفن من الشعر له هواة كما للشعر العربي بل من الناس من يكون ميله إليه أعظم وطربه به أشد من صنوه .

قصيدة مهملة الحروف

احــمـــد الله عــد مـــا حـــاول وســـام
واحـــــد رام الـعـــــلا دوم وســــــام
احــــمــــده وحــــده دوم عــــدد
مـــــا دعــــاه لحـــام أولاد وســـــام
او عــــدد مــــا ورد مــــا حـــســـو وعـــد
او رمــي الــوارد دلــو لــه وعــــــــــد
مــــا عـــدا المهـــمــوم مـــوعـــد وعـــد
او عـــدو مــــا رد مــــحــــمــــود الســـــلام
احــــمـــــــد المولى عــلى مــــا أولى ولا
لا ولا احـــمــــد ســــواه احــــد ولى[٣]
لا أعــــــــود الالــه الـعـــــــادل ولا
أســـــــأل إلا هـــو عـــلـــى طـــول الـــدوام

(٣) ولا الأولى من الولاء : والثانية من ولى يلي .

الإلـه الـواحــــــــد الـوالـي الـرحــــــــوم
الـودود الـواد وصـــــال الـرحــــــوم
عـــالـم الحـــالـة ومـــا وسط الرحـــوم
لا إلـه إلا هـو الـلـه الـســـــــلام
ســـامع دعـــوى المهـــول إلى عـــراه
راحـم حـــالـه وكـم واري عـــــراه
مـــا مـــسك لـهـــداه مملوك عـــراه
مــــــــسلـم إلا وعــطــاه المــرام
اعـلـى حـــــال لـطـراد الـهـــــوى
والـهـــوى مـــا هـو عـلى طـوع الـهـــوى
لـو أطاع أهـل الـهـــدي وعـــصى الـهـــوى
مـــا هــو دوم عـلـي رأســـــه وهـام
هام هو مع كـل ســـحـــار ســـحـــر
وأودعـــوه أهـل الـســحـــر مـــالـه ســحـــر
كـل مـــا لـو صـــالـهـم ســـامـــر ســحـــر
المهـــــاولـو عـلـى رأس الـعــــــدام
لـو عـــــدى الـوالـه لـهـم واومـي ومـــا
ولـهـــــواهـم صــــام لاكـل ومـــا
عـــادم حـــالـه مـــعـــا مـــالـه ومـــا
حـــصـل الـوالـه ســـوى هـاك الملام
طالما حـــســـه[1] عـلـى رســـه[2] دوى[3]
ولحـــســـام الـداء مـــا حـــصـل دوا
مـــا الحـــول الـلـه عـلـى داو دوى[4]
لـومـــوه ولا ســـمع لـوم الـعـــمـــام

---

(١) حسب صوته .

(٢) رسه جسمه .

(٣) دوى يدوي أي ذهب الصوت في الفضاء .

(٤) دوي ضل وتاه .

مـــــــا اطـاع الاهـواه الـلـه لحـــــــــد[1]
لا ولا ســــــر المطـوعـــــــه هـو لا حـــــد
وأعلـى حــــالـه إلى لـتــــمــــــه لحــــد
مـــــــا مـــــرده وسط لحـــــــده لـلكـرام
سـم حـــــــــــالـه سم مـطـلـول الـردا
والـوداد ومــــــا حـــــوى كــــــود الـردا
مــــــــا دهـاه وروعـــــــــه اسم الـردى
والـلـحـــــــد والهـــــول والـدوم الهـــــوام
مـــــــــــــا هـمـل لـلـه دمـع لـه وهـل
مــــا ســــأل أو واصـل ارحـــــام وأهـل
الـعـــــمـــــر لو طـال مـــعـــــدوم وهل
كـــــالـعـــــمـــــر إلا مـــــرده لـلـعـــدام
مـــــــــا عـلـى دار الممـــــــــر إلا المرور
والـعـــــــوالـم مــــــا لـهــــــا إلا المرور
ارحـلـوا كـــــــــره وهـم عـــــــــد المرور
ودرســـوا لما حـــــو كـــأس الحــمــــام
مـــــــــــــــــــــا اراهـــا الـــلــه إلا وراه
مـــــــا عـــــــلاهـا واحـــــــد الا وراه
دوم عـــــــــــاد والـردى عـــــــاد وراه
والهـــلاكـــه حـــامل هـام الســــهـــــام
لـــو ولـــد آدم درى هـــو مـــــــــــــا ورا
سل هـاك الـروح حـــــرصـــــه مــــــا ورى
مــــــا ورا هـو مـــــا عـــــصى الـلـه مـــاورا
مـــــــا عــــــدم روحـــــه علـى أم الحطـام
مـــــا حلي الـطـاعـــــه علـى مــــر الـلـهــــا
وهـل هــاك الـعـلـم اهـل إلا لـهـــــــــــــا

---

(١) الله لحد أصلها يا الله لا أحد وهي تستعمل عند اليأس والاستغاثة .

للعلوم أعطاهم الله الهـا
والوطى ما هي سوى هم والعوام
اسأل الله الهدى واعلى علا
والسموحة واحمده دوم على
كل حال عد ما صلو على
احمد المحمود أو ناج الحمام

قال وقد التزم أن يجعل عكس حروف القافية مبدء للبيت الذي يليها فيقول في مثل شاهاهاش . والمربع عند شعراء النبط يعتبر بيتا واحدا وهذا ما يظهر لك مقدار اقتداره :

أنهاك يا نفس عناها وشاها
ما هوب عن (شاهه) بمنحى وشاها
أغواك براق تخلب وغرك
زمط الرباب ومي واسما وشاهه
هاش الغرام وراعني قل الانصاف
من يخجل غزلان حوضي والانصاف
بلوى بليت بمن حاكى بدر الانصاف
من رافل بتفوت قلبي رماها
هامر ضميري باعلى منه والنو
ورق الحمى من كثر ماون ونو
وحياة من بأمره جرى اليم والنو
وأنشأ الجواري فوق طامي مياها
هايم ركن طود اصطباري وبالي
جسمي بعينه ريم حوضي وبالي
لولا التترك ما بلاني وبالي
من غرة كن الغزالة ضياها

هايض جناحي من سباني بطرفه
وأخنى على طرف المعنى بطرفه
ما ملت يوم من وصاله بطرفه
الله لحد ماذا على النفس جاها
هاج المضايا على سامي الدست
طفل لعب بقلوب أهل الهوى الدست
روحي سباها بالهوى صاحب الدست
والعين صفق سكوب ماها عماها
هامع على خدي ومنه الكرى ند
واحسرتي ما طاب جرح الحشاند
مشكاي للي يا علي ليس له ند
مجري النما بالما لما بي تناهى
هامت به الفرق الذي به توارت
نار وللشامة ضحى ما توارت
مني عليها لعنة ما توارت
شمس الضحى أو غاب بدر تلاها
هالت غريم بالهوى دوم منصاب
ياما جرع من صدمة الشوق منصاب
مالي سوى بن صالح اليوم منصاب
بحمد المجلي عن الروح داها
هاد المضلل وكم هلدي به واول
الحكم الجيفان تالي وأول
يا سيد من أنشى القوافي وأول
يا من إلى سمع الندامنا تفاها
هافت غصون القلب مني من الموم
من عقب ما هي غايفات من الموم

يـا مـــــيـم حـــــامـــــيـم ودال من الموم
مــــــا قـطـع الـحـــــويـا وواصـل وأذاهـا
هــذا الــذي مـــــــــا كـنـت أنـا مـنـه آمــن
آمـنـت بـالـذي فـــــــــاز بـه كــل آمــن
بـقــلــب لا حــــــــــيـلـة بـالآرام آه مــن
ســــود الـغـــدايـر مـــا نـسـت من نـســـاهـا
هـاض ضـلـيـــعــــه وضـلـعـنـه بالانـهـــاض
وافـــضـى المعنـا عنـد مـــالـه بالانـهـــاض
انهض عـــسـى لي يا مـــحـــمـــد بالانـهـــاض
تـهـــــدي بـنـور الـرد مـن كــــــان تـاهـا

وقد عارض بهذه القصيدة قصيدة لعبدالله بن ربيعة على هذا المنوال بقوله فيها :

نفس عـلـيــــهــــا بيـــذق الغـي شـــاهـا
غـنـى عـلـى المظهـــــر منـهـــا وشـــاهـا
ويقــيـت أجــاوب ســاجــعــات عـلى الـدوح
مـــشـــارق جـــفـني عن الـنـوم شـــاهـا
هـاش الـكـرى عن صـــدق عـــيـني بلابـيـل
ويـضــــامــــري ربـي هـواهـا بـلابـيـل
مـــالي ودمــــعـي كـن حـــدره بلابـيـل
وروحي عن جـــســـمي بقـلعــه مـــداهـا

(٤)

نموذج لإحدي محاضراته عن الخطابة عند العرب.

الكويت

مجلة دينية تاريخية أدبية أخلاقية ـ شهرية

الدين
الخطابة

محاضرة لصاحب المجلة ألقاها في المنتدى الإسلامي بالبحرين (المنامة)

سادتي الكرام إن البلاد لا ترتقي إلى العلا ولا تتقدم إلى الكمال إلا بكثرة الدعاء إلى الخير من أهلها وبتعدد المشاريع النافعة فيها من مدرسة علمية إلى ناد أدبي أخلاقي إلى مكتبة تضم بين جدرانها من الكتب المفيدة ما يحيي القلوب إلى جمعيات خيرية تأخذ على عاتقها القيام بحاجيات الفقراء والمساكين فبهذه المشاريع تحيى وبتلك تعلو وتنجو من الشقاء المستمر وما ذاك إلا لأن كل واحد من هذ المشاريع له وظيفة نبيلة يقوم بها وأعمال نافعة ينوء بحملها تساعد على إنقاذ البلاد من مخالب البؤس والشقاء .

أما النوادي فتؤسس لأغراض شتى ومقاصد عديدة تؤسس لتهذيب الأفكار وتنوير العقول بما يلقى في ساحتها من خطب ومحاضرات تؤسس لتعليم ما فيه نفع للناس في دينهم ودنياهم ولتربية النشء الحديث على مبادئ الدين والأخلاق الفاضلة وتنفيرهم من الرذيلة وما إليها . تؤسس لتبادل الآراء والأفكار بين المجتمعين بها والمتناويين على كراسيها ولإلقاء الخطب المفيدة والمحاضرات النافعة تؤسس لكل هذا ولغيره مما يعود على الناس بالخير والسعادة .

فعلى القائمين بها إذاً أن يهتموا بما أسست لأجله ويكونوا يدا واحدة في السير بها إلى ما تصبو إليه نفوسهم ولاسيما إلقاء المحاضرات التي أصبحت فائدتها

ظاهرة وثمرتها دانية قطوفها لكل متناول .

ورغبة أيها السادة في أن يكون لمتداكم المبارك نصيب من هذا العمل الجليل أسوة بغيره من النوادي فإني قد تجشمت المصاعب للبحث عن موضوع لمحاضرة ألقيها في ردهة هذا النادي على مسامعكم الكريمة فرأيت أن أحسن موضوع أقدمه بين أيديكم هو في الخطابة لما لها من الأثر الطيب في النفوس ولأهميتها العظمى في المجتمع البشري وها أنتم قد اجتمعتم هذه الليلة لاستماعها فأقول وبالله التوفيق .

متى عرفت الخطابة

عرفت الخطابة في الوقت الذي أحس فيه الإنسان بالخوف من أبناء جنسه أن يصاب منهم بأذى أو يرمى بضرر فقد شعر في ذلك الوقت بحاجته إليها اضطراره لاستخدامها استمالة لسواه في شد أزره على أعدائه وتصويره لقومه القوارع التي تحل بهم أن لم يأخذوا بعضده في رد جماحهم ويساعدوا في خضد شوكتهم وفوق هذا كله ليستعطف من أعدائه من لاقبل له بمنازلتهم ولا طاقة له بمكافحتهم يستعطفهم بالنخوة تارة ويخيفهم بالتهديد والإرهاب أخرى وبإظهار العزة والقوة آونة على أننا نرجح استخدام الأنبياء عليهم السلام لها في شؤونهم الدينية لبث الدعوة بين الخلق وتقريب النافرين من الحق إليه وإيضاح ما أمروا بتبليغه من نافع وضار وأمر ونهي فحاجتهم إليها أعظم من حاجتهم إلى الآلات الحربية ، ونحن وأن لم نعرف أول من استخدمها منهم عليهم السلام فلدينا أخبار تنبئنا ببعض من قام بها منهم في إصلاح الأمة والشعب كداود وشعيب عليهما السلام فقد قال (صلى الله عليه وسلم) في شعيب (شعيب خطيب الأنبياء) وقال تعالى في داود (صلى الله عليه وسلم) وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب أما موسى (ص) فلما لم يكن من القدرة عليها بحيث يتمكن من استخدامها فيما يريد وعلم بمساس الحاجة إليها حكى الله تعالى عنه في كتابه قوله (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا) وسأل ربه أن يزيل من لسانه ما يعوقه عن القيام بتلك الوظيفة العالية فقال (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) .

الخطابة عند العرب

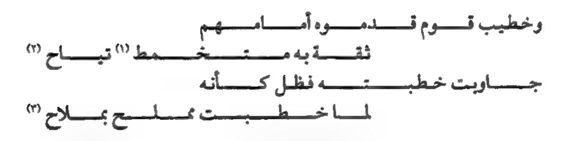
كان للخطابة عند العرب شأن خطير ، وكان لها سوق رائجة بينهم فكانوا يعدونها من مفاخرهم فيفتخرون بالخطيب إذا نجم فيهم كما يفتخرون بالشاعر وكانوا يتخذون لهم خطباء استعدادا للطوارئ ، كما يتخذون الشعراء وإقامتهم سوق عكاظ كل سنة لتلقي فيه الخطباء غرر خطبهم وينشد الشعراء درر قصائدهم دليل على ارتفاع شأن الخطابة عندهم . افتخارهم بذلك في أشعارهم دليل آخر أيضا قال الشاعر :

لقد علم الحي اليمانون أنني
إذا قلت أما بعد إني خطيبها

وقال أبو العباس الأعمى في بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا
ن وقالة غير خرس
لا يعابون صامتين وإن قا
لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

وقال آخر :


وخطيب قوم قدموه أمامهم
ثقة به متخمط [1] تياح [2]
جاويت خطبته فظل كأنه
لما خطبت مملح بملاح [3]

(١) المتخمط المتكبر مع غضب (٢) التياح والمتيح الذي يعرض في كل شيء ويدخل فيما لا يعنيه (٣) مملح بملح أي متقبض كأنه قطعة من الملح

وقال الآخر :

سل الخطباء هل سبحوا كسبحي
بحور القول أو غاصوا مغاصي
لساني بالنثير وبالقوافي
وبالأسجاع أمهر في القواصي
من الحوت الذي في لج بحر
بجيد الغوص في لجج المغاص

الغرض من الخطبة عند العرب

الغرض من الخطابة عندهم التحريض على القتال والتحكيم في الخصومات وإصلاح ذات البين والمفاخرات بالأحساب والأنساب والشجاعة والإقدام والمنافرات والوصايا وغير ذلك .

عيوب الخطيب عندهم

اعتنى العرب بالخطابة اعتنائهم بجلائل الأعمال واهتموا بها اهتمامهم بالنافع المفيد ، ومما يدلنا على كل هذا غير ما تقدم استقصائهم للعيب من أوصاف الخطيب ليتجنبه فقد عابوا منه التنحنح والسعال والالتفات وفتل الأصابع وضيق الفم وخفض الصوت والبهر والرعدة والارتعاش والعرق ، وأن يكون أشفى أقلح وكثرت أشعارهم في تلك الأوصاف تنديدا بها وبأصحابها قال سحيم بن حفص في السعال

نعوذ بالله من الإهمال
ومن خطيب دائم السعال
ومن كلال الغرب في المقال

وقال الآخر في بعض ما تقدم :

ومـــلأي ببـــهـــر والتـــفـــات وســعلة
ومــســحــة عــثنون وفــتل الأصــابع

وقال بشار بن معمر

ومن الكبـــائر مــقــول مــتــتــعــتع
جم التنحنح مــتــعب مــبــهـــور

وقيل في ضيق الفم :

لحـــا الـلـه أفـــواه الـدبـا من قـــبـــيلة
إذا ذكـــرت في الـنـائبـــات أمـــورها

وقال بشار في خفض الصوت :

ومن عـــجب الأيام أن قـــمت ناطقـــا
وأنت ضـــئيل الصـــوت منتــفخ الســحــر

وقال هلال الشكري في زيد بن جندب :

اشـــغى [1] عـــقـــبـــات [2] وناب وعـــصـل [3]
وقـلـح [4] بـادوســن قـــــد نـصـل [5]

---

(١) الشغا اختلاف انبته الأسنان في الطول والقصر والدخول والخروج (٢) عقبات ذو مخالب حداد
(٣) عصل عوج (٤) القلح هو صفرة الأسنان (٥) نصل خرج من موضعه .

وعابوا أيضا الإعادة والحبسة والاستعانة قيل للعتابي ما البلاغة قال كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ قيل له قد عرفنا الإعادة والحبسة فما الاستعانة قال أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه ياهناه وياهذا وياهيه واسمع مني واستمع إليّ وافهم عني أولست تعقل فهذا كله وما أشبهه عي وفساد .

صفات الخطيب المستحسنة عندهم

استحسنوا منه رفع الصوت وسعة الفم ورباطة الجأش وثبات الجنان قال الأعشى في شدة الصوت :

فيهم الخصب والسماحة والنجو
ة جمعا والخاطب الطلاق

وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهر :

ركوب المنابر وثابها
معن بخطبته مجهر
تريع إليه هوادي الكلا
م إذا ضل خطبته المهذر

وقال أبو المجنأ في رباطة الجأش :

إني إذا ما زبب الأشداق
والتج حولي النقع واللقلاق
ثبت الجنان مرجم وداق

استعانتهم بالإشارة في الخطبة:

كانوا يستعينون في خطبهم بعدة أشياء حرصا على استمالة القلوب ورغبة في الإذعان لما يرمي إليه الخطيب كالإشارة باليد والرأس والعين ، وغيرها من أعضاء الجسم لأن التأثير بالحركات لايقل عن التأثير بالكلمات ، وقد يكون تأثير الأول أشد فعلا في النفوس من الثاني قال الجاحظ في البيان والتبيين (قد قلنا في الدلالة باللفظ فاما الإشارة فاليد والرأس والعين والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن اللحظ ، وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة في طبقاتها ودلالتها هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت .

من لا يرى الإشارة

كان أبو شمر لا يرى الإشارة في الخطبة ويقضي على صاحبها بالعجز ويقول ليس من المنطق أن تستعين عليه بغيره فكان إذا نوزع لايحرك يديه ، ولا منكبيه ولايقلب عينيه ولا يحرك رأسه حتى كأن كلامه يخرج من صدع صخرة .

هذا ما رآه أبو شمر ، ولكننا نراه قد أخطأ خطأ واضحا إذ فائدة الإشارة وتأثيرها لاينكر ، وليست الإشارة بدالة على عجز في الخطيب ، كما يقول كيف وقد استعملها البلغاء والمبرزون في ميدان الخطابة ممن تضرب ببلاغتهم الأمثال ، وكانوا مثالا حسنا لسواهم يقتدى بهم فيما قالوا وفعلوا .

ثم أن الحركة هي من لوازم من يحاول زجر قوم عن نهي ارتكبوه أو أمر بنافع تركوه خطيبا كان أو غيره لاسيما إذا لم يألف المستمعون ما قال أو وجد بهم من يحتمل مخالفته لما يقول أو معارضته فيما رأى ففي هذا الموضع ، وفي تلك الحال يساوره من الانفعال والتغير مالا يتمكن معه من حبس حركاته ولهذا فأن أبا شمر نفسه ، وهو الذي لا يرى الإشارة لما نازعه إبراهيم بن سيار وكان من أكفائه حرك يديه وحل حبوته وحبا إليه حتى أخذ بيديه ، ولكن الذي غره فيما قال وموه عليه هذا المذهب كما قال الجاحظ أن أصحابه كانوا يستمعون منه ويسلمون له ويميلون إليه ويقبلون كل ما يورده عليهم ويثبته عندهم فلما طال

عليه توقيرهم وترك مجاذبتهم وخفت مؤنة الكلام عليه نسى حال منازعة الأكفاء ومجاذبة الخصوم .

استعانتهم بالقيام على مرتفع

بما أن الغرض من الخطيب هو التبليغ لما يقول والتأثير فيما يلقي على السامعين حتى بشخصه وملامحه وحركاته التي تبدو منه فقد استحسن العرب للخطيب أن يقوم على مرتفع من أرض أو راحلة ليتسنى له كل هذا إلا في خطبة النكاح وكانوا لايرون القيام فيها .

استعانتهم بالعصى والمخاصر ونحوهما

من جملة ما كان العرب يستعينون به في خطبهم المخاصر والاعتماد على الأرض والقسى والإشارة بالعصى والقناة ليسهل عليهم القيام بالاغراض المطلوبة من الخطيب في خطبته حتى قال عبد الملك بن مروان (لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي) وأراد معاوية سحبان وائل على الكلام فلم ينطق حتى أتوه بمخصرته من بيته فأتى بعد ذلك بما هو معروف عنه من بلاغة خلابة وسحر حلال ، وقد كثرت أشعارهم في استعمال خطبائهم لتلك الأشياء قال أحدهم

مجالسهم خفض الحديث وقولهم
إذا ما قضوا في الأمر وحي المخاصر

قال معن بن أوس المزني :

فلا تعطى عصى الخطباء فيهم
وقد تكفي المقادة والمقالا

من عاب عليهم استعمالهم ذلك

عابت الشعوبية على العرب استعمالهم المخاصر والعصى ونحوهما في الخطابة وقالت القضيب للإيقاع والقناة للغار والعصى للقتال والقوس للرمي وليس بين الكلام وبين العصى سبب ، ولا بينه وبين القوس نسب ، وهما إلى أن يشغلا العقل ويصرفا الخواطر ويعترضا على الذهن أشبه وليس في حملها ما يشحذ الذهن ولا في الإشارة بها ما يجلب النظر ثم زعموا أن الخطابة كانت في كل الأمم ، ولم يعتمد خطبائها على العصى ونحوها .

هذا ما قالته تلك الطائفة ولقد كفانا العلامة الجاحظ رد ما قالوه واعترفوا به في بيانه وتبيينه فلنقتصر هنا على ما قال هناك (فتفهم عني فهمك الله ما أنا قائل في هذا واعلم أنك لم ترقط أشقى من الشعوبية ولو عرفوا أخلاق كل أمة وزي كل لغة وعللهم في اختلاف إشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهيئاتهم وما علة كل شيء من ذلك ولم اختلقوه ، ولم تكلفوه لأراحوا أنفسهم وتخففت مؤنتهم على من خالفهم) وقال في موضع آخر وإنما العجز والذلة في دخول الخلل والنقص على الجوارح ، وأما الزيادة فيها فالصواب فيه والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعاني ولو قبضت يده ومنع رأسه لذهب ثلثا كلامه .

من ذم الخطابة

ومن الغريب العجيب تصريح البعض من الناس بذم الخطابة والتوغل في التنزيل من شأنها والحط من كرامتها وتنقيص الخائضين في بحارها المتسنمين ذراها وهي التي كان لها المقام الأسمى لدى سائر الأمم إن هذا غريب وغريب جدا ، ولكن

لكل ساقطة في الكون لاقطة
وكل بائرة يوما لها سوق

احتج هذا البعض على ما ذهب إليه باحاديث وآثار تحث على الصمت وترغب فيه وتذم الكلام وتنفر منه كقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ (ر) وهل يكب الناس في النار على وجوهم أوعلى مناخرهم إلا حصائد السنتهم) وقول بعضهم (لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب) وأخذ أبي بكر الصديق رضى الله عنه بلسانه ، وقوله (هذا الذي أوردني الموارد) وقول ابن الإعرابي تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فخطل في كلامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما أعطي العبد شرا من طلاقة اللسان) إلى غير ذلك من الآثار والأحاديث التي هي من هذا القبيل .

وهذه الآثار التي احتج بها البعض ، وإن كانت صحيحة لا طعن فيها ، ولا في صحة ما ترمي إليه إلا أن النقل والعقل تضافرا على يقين صرفها عن ظاهرها وتقييد إطلاقه ، نعم إذ لا يذم من الكلام إلا ما فيه زور وبهتان وإثم وعدوان لا ما يدعو إلى خير ومعروف ويرغب في صلاح وإصلاح على أن إبقاء تلك الآثار على ظاهرها يلزم من خطر الكلام مطلقا ، وفي هذا من الفسا د والأضرار الدينية والدنيوية مالا يخفى على كل ذي مسكة من عقل بل ويلزم منه الحكم على تلك الطائفة بالخروج عن سنن الحق لخوضها بحر الكلام واحتجاجها على ذم الخطابة بما احتجت به وتعين عليها تجنب الوظائف بأسرها لأن القيام بها متوقف على تبادل الآراء والأفكار الذي لا يمكن إلا بتجاذب أطراف الحديث ولا إخال أن هذه الطائفة تسلم بتلك المقدمات إذاً فقد خالفت نفسها بنفسها ونقضت غزلها بيدها ، وكذلك كل باطل لابد أن يذهب ولا يبقى له عين أو أثر .

الإلقاء

لحسن إلقاء الخطيب تأثير عظيم يكسب الخطبة الساقطة جمالا يستلفت الأنظار وبهاء يضطر السامع إلى الإصغاء لها فالإلقاء هو المحور الذي تدور عليه الخطب ، وهو الذي يكمل به نافعها وينقص بنفعه كاملها ، ولا يعرف تأثير الإلقاء إلا من حضر الاحتفالات التي يتعاقب خطباتها على منصة الخطابة فهناك يرى التفاوت بينهم عظيما والبون شاسعا .

فقد يتسنم منبر الخطابة اثنان تشابهت خطبتاهما في الفصاحة والبيان والمرمى فيمتلك أحدهما مشاعر الحاضرين ويستولي على عقولهم وتتبع نفوسهم أثره ويصغون لقوله وينقادون لما يرى ويتبعه الثاني بخطبته فيعم الجميع الملل وتعتريهم السآمة والضجر ويودون بترها قبل نهايتها ، ولو يتسنى لهم هجرها لفعلوا غير آسفين كل هذا لإجادة الأول في إلقائه وقصور الثاني عن بلوغ شأوه .

خطب أحد اليونانيين في جمع حافل من قومه ، ولكن لسوء إلقائه كان نصيبه منهم السخرية والاستهزاء فكبرت نفسه أن يكون بينهم بتلك الحالة المزرية فانقطع عنهم مدة طويلة يعاين فيها حسن الإلقاء وعرن نفسه على إلقايه بطرق شتى كان بينها أنه يملأ فمه حصا ويضع أمامه مرآة ينظر إلى كيفية إلقائه أهو مجيد فيه أم من المقصرين فكان نتيجة عمله ذلك أن نال بينهم رتبة عالية حتى عد من خطبائهم المشهورين الذين لكلامهم الوقع الحسن والتأثير البليغ .

وقد كنت أرى في جرائد العراق ومجلاتهم قصائد الملا عبود الكرخي الشاعر النبطي المعروف فكنت لا أميل إلى قراءتها ، كما أميل إلى غيرها من القصائد العربية ولا أجد لها في نفسي تأثيرا مثل ما أجده في سواها ، ولكن في سفري إلى بغداد سنة ١٣٤٢ حضرت احتفال نادي الإصلاح بوداع الزهاوي عند ما عزم على التوجه إلى مصر ، وقد ألقى هناك جملة من الأدباء خطبا وقصائد أجادوا في تمثيل أدوارهم في إلقائها ما شاءوا ، وكان من بينهم ذلك الشاعر العامي الذي بذهم بحسن إلقاء قصيدته النبطية التي أودعت في نفوس الحاضرين أثرا بليغا حتى استعادوا كثيرا من أبياتها استعادة حادة وخيل إليّ أن ما سمعته في ذلك النادي منه غير ما كنت أقرأه سابقا أو أسمعه من قصائده ، وما كان كل هذا الفرق بين الحالتين إلا بسبب الإلقاء لا غير .

هل كان العرب يرتجلون الخطابة ارتجالا أم لا

نعم كان العرب يرتجلون الخطب البليغة ارتجالا بدون روية وامعان وبدون تحبير وافتكار ولا يقصرون مع ذلك عن الإتيان بالمعجب والمطرب من المقال المفحم والسحر الحلال والحجج الدامغة كل هذا وما تخرجوا من مدرسة ولا تثقفوا علومهم عن أفواه المعلمين ، وإنما هي الفطرة السليمة والذهن الوقاد والفكر

الصافي مما اختصوا به دون سواهم ، وكانوا به مضرب الأمثال حتى أعجزوا من حاول مجاراتهم في مضماره واقعدوا من تعرض لمسابقتهم في ميدانه ، وقد استمروا على هذه الطريقة المثلى مدة من الزمن طويلة في جاهليتهم وفي عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وما بعده إلى آخر عصر الدولة الأموية ثم لما سرى فيهم الضعف وخامرهم الوهن واصابهم الخور وضعفت هممهم وفسدت فطرتهم بمخالطتهم الأعاجم وامتزاجهم بالغرباء تنكبوا إذ ذاك عن الجادة المستقيمة ومالوا عن ذياك المنهج السوي فطفقوا يأتون بالخطب مزورة أو كلمات يحررونها في أوراق اللهم إلا من بقى منهم على فطرته السليمة ويشير إلى هذا التغير العظيم أبو سمار العكلي في قوله :

لـلـه در عــــــــامــــــــــــر إذا نـطـق
في حـــــفل امــــلاك وفي تـلـك الحلـق
ليس لـقــــوم يعـــــرفــــون بالـشـــدق
مـــن خـطــب الـنــاس ومما فـي الـورق
يـلفـــــقـــون القــــول تلفـــيق الخلق
من كـل نفــــاخ الـذفــــاري بالـعــــرق
إذا رمــــتـــــه الخطبـــــاء بالحـــدق

وقول بشار :

وهذا بديه لا كـــتـــحــبـيـــر قـــائل
إذا مــــا أراد القــــول زوره شـــــهــــرا

صعوبة الخطابة وهول موقفها

إنه لموقف رهيب انتصاب الخطيب بين الجمع المحتشد يطير باللب ويذهب بالقلب موقف ليس هو من السهولة بحيث يذلل صعوبته كل من حاول أن

يصعد درجته كل من أراده بدون تعب ولا عناء .

إن دون كل ذلك أهوال وأهوال دونها قطع الأعناق وحزم الفيافي الواسعة حتى على من عبد تلك الطرق وتدرب على السير في منهجها فكم من خطيب مصقع عثر به الجواد وكم من مفوه تلجلج به اللسان وكم من مهذر قوم خانه البيان .

كان سحبان وائل إذا وقف موقف الخطابة يسيل عرقه ، وهو هو الخطيب الذي حاز شهرة لم يحزها سواه حتى ضرب به المثل في الفصاحة والبيان ، وقال الكميت بن زيد وهو من الخطباء أيضا إن للخطبة صعداء (وهي على ذي اللب ارمى) وقال عبيد الله بن زياد وهو من الخطباء المعروفين (نعم الشيء الأمارة لولا قعقعة البرد والتشدق بالخطب) وقيل لعبد الملك بن مروان عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين قال وكيف لا يعجل علي وأنا أعرض عقلي على الناس كل جمعة مرة أو مرتين يعني خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور .

الخطابة في الإسلام

ارتفع شأن الخطابة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر خلفائه الراشدين إلى ذروة الكمال ونالها من إقبال الناس عليها نصيب وافر لم تنله في سواه من الأزمان فقد انصرفت إليها همم الفحول ، وكثر المشتغلون بها من أبناء ذلك العصر ولبست من البهاء حلة قشيبة وقلدت من حسن الأسلوب عقدا يسبي العقول بجماله الفتان حصل كل هذا لأسباب عديدة (أحدها) أن كل دعوة لاسيما الدينية هي في أبان ظهورها في أشد الحاجات إلى خطباء مصاقع ليبثوها بين الجاهلين ويشرحوا أسرارها ، ومحاسنها لمن وجهت إليهم وليقفوا في وجوه أعدائها المهاجمين ردا لحججهم وقطعا لكاهلهم وإقناعا لهم بالدليل والبرهان وليثبتوا أقدامها على أسس لا تتضعضع ولا تزول ودين كالإسلام عمت دعوته الأقطار جميعا وشملت العباد بأسرها هو في أكبر حاجة إلى خطباء مفوهين وبلغاء مقاول (ثانيها) تعشق القوم لأسلوب القرآن الكريم وولعهم

ببلاغته الخلابة ما حدا بهم إلى محاكاته في منحاه وتوشيح خطبهم بفصيح آياته وبليغ عظاته وروائع أمثاله حتى كانوا لا يحفلون بالخطب التي تحرم من نور تلك الآيات الكريمة ، وكانوا يسمون الخطب التي لا يوجد فيها شيء من تلك الآيات ولا يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالخطب الشوهاء قال الهيثم قال عمران بن حطان أول خطبة خطبتها عند زياد أو قال عند ابن زياد فأعجب بها زياد وشهدها عمي وأبي ثم أني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن (ثالثها) أن القوم استعاضوا عن الشعر بالخطابة وانصرفوا إليها دونه لعلمهم بحاجتهم الضرورية إليها وبتأثيرها الشديد المحيط وأن فائدتها أعظم من فائدته في نشر ذلك الهدى الساطع وعلى كل أيها السادة فالخطابة هي السلاح الوحيد الذي تلجأ إليه الأمم والأفراد في الدفاع عن الحقوق والذود عن الحمى بل هي الركن الذي تعتمد عليه في كل أغراضها ومراميها والمعول الحاد الذي تهدُّ به صروح الاعتقادات الفاسدة وتنزع به العادات المتحكمة في النفوس وتقلب الحكومات وتثل العروش هي البرهان الساطع على حياة الأمة ورقيها والدليل الواضح على سمو مداركها وشعور أفردها . لها المقام الرفيع والمحل الأسمى في كل أدوارها ولها القدح المعلى في صلاح الخلل واقامة المعوج من الأخلاق .

ما عهدنا أمة رقت إلا بخطبائها ولا اتسع ملكها ، وكانت لها السيطرة على من سواها إلا بزعمائها الذين لبسوا من حلل الخطابة أجملها لها كل هذا التأثير البليغ الذي غادر الكبراء يعطونها من العناية والاهتمام مالا يعطون سواها . فكم أغنت عن أسفار من الكتب كثيرة ، وكم خطبة قامت مقام جيش عرمرم لا يهاب الموت ، ولا يخاف الردى وكم خطبة غرست الشجاعة في قلوب من طارت الشجاعة من قلوبهم عنقاء مغرب طارت بها من هول الموقف وهول المحيط ومن قوة العدو وعدده غرستها في قلوبهم فخف عليهم عبأ الأقدام وهان عليهم بيع الأرواح . وكم خطبة حقنت دم من استحل دمه و البسته حلة الانتصار على خصمه فرفع على الأكف والرؤس بعد أن كاد يهوي في قعر مظلمة وكم وكم مما يطول شرحه ويصعب استقصائه .

خطب طارق بن زياد ذلك القائد العظيم خطبة بليغة على جيشه الذي أوشك أن يعمه الضعف ويستولي عليه اليأس فحركته تلك الخطبة ولا تحريك الكهرباء للأسلاك أو الزلزال لأطراف الأرض ونواحيها فكانت نتيجتها شجاعة وإقداما رفرفت راية العز عليه وعلى جنده وسقتهم كأس المجد والفخر وأورثتهم أرض الأندلس الزاهية ورياضها الخصبة وملكها الواسع . أرض الأندلس التي أصبحت فيما بعد كما تعلمون قفراء موحشة من الإسلام وانواره قد حل الكفر فيها محل الإيمان والجهل مكان العلم والتعصب مكان السماحة .

(٥)

نموذج من أشعاره
(حين كان في اندونيسيا)

وأما القصيدة التي ألقاها الشيخ عبدالعزيز على مسامع الحضور في تلك الحفلة فهي تنقسم إلى أربعة أقسام . الأول بث فيه الشيخ عبدالعزيز شعوره نحو جزيرة جاوة من خلال الأبيات التالية[1] :

هذي وربك جاوة وبجاوة
غرر المحاسن جمعها والمفرد
ما مثل جاوة في المدائن والقرى
يفنى الزمان وحسنها يتجدد
هي غادة لبست ثياب جمالها
فصبا لحسن جمالها المتعبد
إن كنت تهوى في الحياة معيشة
بنعيمها شبح التعاسة يطرد
فاهرع إلى هذي الجزيرة إنها
هي درة في شرقنا تتوقد
فيها الشباب يعود حسن بهائه
والغصن من ماء الحيا يتأود
وإذا شككت بما أقول فصورتي
تنبيك بالحق الذي لا يجحد
فلقد خلعت متاعب في ربعها
بالجسم مني والحشا تتردد
ولبست من شرخ الفتوة بردها
وذه الملامح والمناظر تشهد

ثم يذكر صعوبة فراق الأصدقاء ووداعهم ، ويشيد بحزب الإرشاد ورجاله :

في ذي الحياة مواقف من شأنها
تذر القلوب ونارها تتوقد

(١) المصدر السابق ، عدد ٢٢ أغسطس ١٩٣٢ .

وأشق هاتيك المواقف موقف
فيه لتوديع الأحبة موعد
فهناك تشتعل الحنايا من أسى
وهناك عقد الاجتماع يبدد
وبموقفي هذا أمثل بينكم
يوم الفراق فودعوا وتجلدوا
وإلى اللقا يا سادتي فلحبكم
قلب بحبكم الأكيد مقيد
قلب إذا ذكر الجهاد وحزبه
فبحزبكم يشدو وإن سخط العدو
حزب الحقيقة لا الخيال وإنه
حزب وربك للحقيقة مسند
حزب له في ذي الديار مآثر
وله على الأحرار ما عاشوا يد
فلينظر الأضداد في آثاره
فالحق ينطق والخلائق تشهد
فك العقول بأسرها من أسرها
ممن بغوا وتجبروا واستعبدوا
صرف القلوب إلى الإله برشده
والله يرشد من إليه يرشد
سقط الألى قد نافسوه من العلا
وتهشموا وتحطموا وتبددوا
أو ما ترى جمع الجموع مكسرا
فالكل يعرج في السباق ويقعد
يبكون جاها شيدوه على الهوى
في عقله ممن به يسترشد

ثم يبدأ في تحذير خصومه من العلويين . لقد فقد الآن الأمل في إمكانية قيام أي صلح أو هدنة معهم :

إن يحسبوا أن النباح يخيفنا
ولأجله صاح الجميع وعربدوا
وتحككوا وتحرشوا من جهلهم
وتجمعوا وتوعدوا وتهددوا
فليعلموا أني خلقت كصارم
يفري المخوف حده ويبدد
لا أختشي يوم النزال ضياغما
يهوي لها شم الجبال وترعد
أفهل سأخشى من جبان طائش
قد راح من طيش النهى يتوعد؟
أنا سلسبيل المبتغين هداية
ولمن يروم شقاوة فمهند
أنا لا ألين لمن يريد إهانتي
إن كان سوءا بالإهانة يقصد
وألين للحر الشريف ومن له
في كل مكرمة مقام أحمد
أغضي على وخز السفا ما كان في
غض الجفون على السفا ما يحمد
أما إذا ظن الجهول بأنني
من أجل سطوته له أتودد
فهناك ينزل بالجهول جزاؤه
وهناك يعلم من يخاف ويشهد
الناس أقسام فحر عاقل
باللين يملك قلبه ويقيد

وســــواه بالصـــفع الشــديد جـــزاؤه
ولـدى التـــســاهل طبـــعــــه يتــــمــــرد

وأخيرا يخاطب الشيخ عبدالعزيز الشباب بهذه الأبيات :

إني أقـــدر للشـــبـــاب جـــهـــوده
مـــا دام في مـــثل الســـعـــادة يجـــهـــد
وأراه فـي يـوم الـكـريـهـــــة عــــــدة
منهـــا شـــرور ذوي المفـــاســـد تخـــضـــد
فـــإلى الجـــهـــاد تقـــدمـــوا يا ســـادتي
إن الجـــهـــاد عليكمـــوا المؤكـــــد
واســتــصــحــبــوا الصــبـــر الذي من شـــأنه
يـدنـو بـه الـبـلـد الـقـــصـي الأبعـــــد
إن الجـــهـــاد بغـــيـــر صـــبـــر ذلة
والصـــابرون جـــزاؤهـم أن يحـــمـــدوا
خـــوضـــوا المعـــامع والمخـــاوف جـــهـــرة
ودعـــوا التـــبـــرقع فـــهـــو خلق أســـود
وعـلـيـكـم أن تـرفـــــعــــــوا ناديكم
فـــعليـــه يبني مـــجـــدكـم ويوطد
وارمـــوا التـــخـــاذل بينكم فـــأمـــامكم
قـــوم يســـرهم بأن تتـــبـــددوا

ترك الشيخ عبدالعزيز مدينة بوقور بعد هذه الحفلة بأيام إلى بتافيا لكي يودع الشيخ أحمد السوركتي وغيره من أصحابه الإرشاديين فيها . وكان رفيقه الشاب عبود بن عبدالله سنكر قد أهداه كسوة عبارة عن جبة ، فصلّها له عند الخياط الصيني ، لي بو ، أفضل خياط في بوقور آنذاك ، وبعد إقامة قصيرة في منزل الشيخ أحمد السوركتي في بتافيا ، ودع الشيخ عبدالعزيز رفاقه وركب الباخرة في طريقه إلى سنغافورة ثم إلى الوطن . وفي يوم ١٥ أغسطس ١٩٣٢ وصل إلى سنغافورة .

(٦)

رأيه العصري في نظرية (دارون) للتطور

بعثة علمية
تسافر من البحرين إلى بيروت

كتب إلينا من البحرين أن بعثة علمية سافرت منها في أول ربيع الثاني إلى الكلية الأمريكية في بيروت تتألف من هؤلاء الشبان الأفاضل :١ ـ أحمد بن علي ابن موسى رئيسا لها ، ٢ ـ عبدالله بن الشيخ إبراهيم آل خليفة وقد قام بنفقته سمو الأمير الجليل الشيخ حمد بن عيسى حاكم البحرين المعظم ، ٣ ـ خليفة بن الشيخ محمد آل خليفة ، ٤ ـ حمد بن الشيخ عبدالله آل خليفة ، ٥ ـ محمد بن الشيخ قاسم آل مهزع ، ٦ ـ عبدالله بن محمد آل باكر وسافر على نفقة والده المحترم ، ٧ ـ راشد ابن عبدالرحمن الزياني ، ٨ ـ عبدالعزيز بن سعد الشملان ، ٩ ـ عبدالرحمن بن قاسم آل معاوده وقد أخذت الحكومة على عاتقها القيام بنفقة بقية أفرادها .

وهذه أول بعثة اجتازت الخليج الفارسي من البحرين لتتلقى علومها في الخارج وهي تدل على مقدار الروح الجديدة التي سرت بين أبناء ذلك القطر وتدل على شعورهم الحي بفوائد العلوم أيا كانت دينية أو دنيوية .

ولقد تفاءل الجمهور خيرا لقطر البحرين من هذه البعثة واعتدوا سفرها فاتحة نهضة سيحمدون عاقبتها في القريب العاجل والذي دفعهم إلى هذا التفاؤل علمهم أن تناول العلم أصبح اليوم ضروريا لكل من يريد الحياة الهادئة في هذا المعترك ويريد أن يكون بيده سلاح قوي يدافع به عن دينه وأخلاقه وعن حقه وتراثه المقدس ولكن أقواما آخرين أظهروا من التشاؤم بسفرها مثل التفاؤل الذي أظهر اخوانهم وقد يكون من البواعث لهم على هذا التشاؤم ما ألقى في روعهم من فساد المدارس العصرية على اختلافها وأنها لا تخرج إلا تلاميذ أشرب الإلحاد في قلوبهم اشرابا وجرى فساد العقيدة في نفوسهم شوطا بعيدا فأخذوا لا ينظرون إلى الأديان إلا بالهزئ والسخرية وأصبحوا بفساد أخلاقهم وسوء سيرتهم سبة في وجه العفاف والآداب وسبة في وجه الوطن وأبنائه .

أما نحن وقد فوجئنا بهذا التشاؤم من آباء مخلصين لأبنائهم فلا يسعنا إلا أن

نقدم كلمة إلى أفراد تلك البعثة سداها الإخلاص ولحمتها النصيحة عسى أن يقدروها قدرها ويعتبروا بها اعتبارا ، كلمة ذهبية تصارحهم قبل أن نهمس بها في آذانهم بأن لا فائدة من علم بغير دين ولا منفعة من معرفة بدون أخلاق فنقول :

يهمنا أيها الإخوان أن ترجعوا إلى وطنكم وقد امتلئت حقائبكم من المعارف التي أنتم ودينكم في حاجة إليها . ويهمنا أزيد أن تكونوا المثل الأعلى لاخوانكم في كل ما تصبوا إليه نفوس محبيكم أدبا وأخلاقا وهديا وسمتا وجدا ونشاطا وغيرة على الحق والدين . ويهمنا أن تؤوبوا فائزين بما تبتغون ، عقائدكم أصلب عودا من ذي قبل لم تزدكم العلوم التي اكتسبتموها في دينكم إلا إيمانا ولا في كتابكم إلا يقينا ولا لنبيكم صلى الله عليه وسلم إلا إجلالا وتعظيما . ويهمنا أن تظهروا بأكمل المظاهر في جميع ميادين الحياة وفي أحسن سمت بين كل الطوائف والملل لتقيموا برهانا صادقا على خطأ آبائكم في تشاؤمهم من بعثتكم .

ثم إني أوصيكم وصية من يود سعادتكم بأن لا تتسرعوا في قبول ما تسمعون من النظريات التي تناقض دينكم أو تخالف بعض نصوصه الصحيحة بادئ بدء قبل الفحص والتدقيق ، تلك النظريات التي ستسمعون فيها لغطا عنيفا ممن تخالطونهم هناك وترونهم يحسبونها من الآراء التي لا يمكن أن تهدم ويحكم ببطلانها بحق وستسمعون من هذا القبيل الشيء الكثير .

ستسمعون رجة مهيلة في المذهب الدارويني الذي يثبت تسلسل الإنسان من قرد وأن الله لم يخلقه هكذا خلقا مستقلا . وستجدون أقواما يكثرون من جدالكم فيه ليضطروكم إلى التصديق به ورفض ما تعرفونه من آيات كتابكم العزيز فاحذروا أن تنخدعوا بما يقيمونه لكم من براهين على صحته فما هي إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء لم تقم إلا على الظن وأن الظن لا يغني من الحق شيئا .

وأظنكم لا تجهلون النظرية الجديدة التي قامت اليوم في الغرب تناقض هذا المذهب كل المناقضة وتقرر أن أصل القرد هو من الإنسان نفسه تصديقا لقوله

تعالى ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ ولا تجهلون أن بعض الولايات المتحدة بأمريكا قد فرضت عقابا خاصا على المسلمين الذين ينشرون هذا المذهب بين تلامذتهم وإنها نفذت العقاب فعلا على أحد المعلمين الذين خالفوا أمرها بل ولا أظنكم تجهلون أن هناك عقبة كأداء في طريق أهل المذهب الأول إلى الآن لم يذللوها وإلى الآن وهم يجاهرون بعجزهم عن تذليلها .

وهي أن الإنسان إذا كان متسلسلا من قرد كما يدعون فلماذا وجد كثير من القرود اليوم بهذا الشكل خلقة وإدراكا ولماذا لم يرتق بقيتهم إلى درجة الإنسان الذي سخر الطبيعة لأمره ولهذا يقول الأستاذ فريد وجدي في الرد على أهل هذا المذهب بتلك الحجة التي عجزوا عن ردها .

إذا كنت والإنسان في الأصل واحدا
فما لك ترقى وهو للآن حيوان
أراه قنوعا أن ينل ملأ بطنه
وأنت وإن نلت البسيطة جوعان
تطاول بالفكر السماء سفاهة
وتزعم أن الكل فيك وإن بانوا

كل هذا أيها الفضلاء مما يوجب عليكم أن تكونوا من أهل الحذق فيما سيطرق أسماعكم من هاتيك النظريات التي لم تألفوها والتي يظهر لكم أنها تهد أصلا من أصول دينكم أو تخالف نصا محكما لا يمكن تأويله بما يقبله قانون اللغة العربية .

ولست مع كل هذه النصائح التي أسديتها إليكم أيها الإخوان بالذي يحظر عليكم الاشتغال بالعلوم الدنيوية المحضة والعصرية على اختلافها حتى ما مزج صحيحها بفاسدها وحقها بباطلها إذا ما اقترنت به نية صالحة منكم وكان غرضكم الوقوف على ما فيها من عوار ومعرفة ما تنطوي عليه من زيغ ليتسنى لكم دحضها بالحجة وردها بالبرهان شأن علماء الإسلام المتقدمين الذين كرسوا

كثيرا من أوقاتهم لدرس الفلسفة ليعرفوا عيوبها وموضع الضعف كشيخ الإسلام ابن تيمية والغزالي وأضرابهما رحمهم الله تعالى .

علمت الشر لا للشر لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

إني لا أرى بأسا بهذا كله بل أراه من الدين الحنيف ولا سيما في مثل هذا العصر الذي أصبح ما يوجه فيه من شبه وتشكيكات غير ما يعرفه أسلافنا الأقدمون وبالطبع أن حماته لا يمكنهم القيام بواجب الدفاع عنه والحالة هذه ما لم يقفوا على ما عند خصومه وخصومهم من معارف وعلوم ويحيطوا خبرا بما لديهم من آراء وأفكار وبعد أن يدرسوا شبههم التي أعدوها لمهاجمة الدين وأهله درسا متقنا .

الجزء الثانى | شهر صفر ١٣٤٨ | المجلد الثانى



مجلة دينية تاريخية أدبية أخلاقية — شهرية

تصدر فى الكويت

رئيس تحريرها ومديرها المسؤول

عبد العزيز الرشيد

﴿ سنة المجلة عشرة أشهر ﴾

الاشتراك السنوى

في الكويت والبحرين : تسعة ربيات وفي الخارج ١٠ ربيات

بسم الله

الحضرة الماجد الاكرم المحسن الكريم الحاج شملان بن علي السيف المحترم سلمه الله [illegible]

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ايها المتفضل ان يمد كريم
للمساعدة والاحسان مرة كلي السنة شكر لجنابكم على عطفكم وامتنانكم
غير اني ايها الكريم في هذه الايام في هم عظيم وخجل دائم وحياء مستمر من جنابكم
منشأ ذلك كله كساد الاسواق وبوار السلع الامر الذي لم يمكني معه
على ان اقدم لسعادتكم جميع الذي لكم عندنا من الدراهم وهو اربعة الآف
ربية وزاد خجلي حياء اني لم اقدم لكم الا الفين ربية على ان الوارد
تقديم الباقي لعلك عليه ولكن بيع السلع بغير ثمن سوقها وحيث ان في
بيعها هذه الايام ضرر كبير وانا جازم انكم لاتودون ذلك لنا احببت عرض
المسألة على جنابكم هل تسمحون تتفضلون بتأخير الباقي الى مجيئكم من الطواشة
لعل السلع في تلك المدة يجيء سوقها فنصرفها بالقيمة المناسبة . ام ترون
تقديم الباقي لكم قبل رواحكم وعلى كل فانا شاكر فضلكم واحسانكم والامر مفوض
اليكم وانا انتظر اشارتكم في ذلك جزاكم الله عنا افضل ما جزى محسنا باحسانه
وكرما باحسانه

عبدالعزيز بن احمد
الشيبه البداح

شوال يوم ٦ ١٣٢٨



الكويت والعراقي

مجلة دينية ادبية اخلاقية تاريخية مصورة

لصاحبيها

عبد العزيز الرشيد و ي. البحري « السائح العراقي »

تصدر غرة كل شهر عربي

AL-KUWAIT & AL-IRAKIJ

Magazijne Monthly

Address: 59, Post Box, - Batavia Ctr. Java.

المجلد الاول	جمادى الاولى ١٣٥٠	العدد ١
No. 1	September 1931	vol: 1

الاشتراك	الادارة
داخل القطر الاندونيسي : ١١ روبية خارجه جنيه انكليزي	الرسائل والاشتراكات باسم المجلة . العنوان البريدي والبرقي ٥٩ صندوق البريد ـ بتافيا سنتروم (جاوا)

Prop. & Editors: A. Arrashid & J. Bahrrij

سنتها عشرة اشهر ، وثمن العدد الواحد روبية

طبعت بمطبعة الوحدة ـ سورابايا

العدد الأول

صاحب الجريدة
عبد العزيز الرشيد

الاشتراك
في الداخل وسنغافورة وما والاها
[illegible]
[illegible]

في الهند والحجاز وخليج فارس
[illegible]

التوحيد

العنوان مؤقتا هكذا :
ATTAUHID
AHMAD SOORKATI
KRAMAT 41
BATAVIA – CENTRUM

ثمن النسخة اربعون سنتا
وتباع في المكاتب العمومية

سنة ١ ذي القعدة ١٣٥١ «التوحيد» جريدة دينية اخلاقية ادبية تصدر في الشهر مرة موقتا الجمعة ٣ مارت ١٩٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم : (وبعد) فهذه صحيفة (التوحيد) أقدمها للقراء أمام جلة الكويت لتقوم ببعض ما قامت به من واجب وسأصدرها في الشهر مرة موقتا وربما أعدتها أربعا إذا وجدت من قرائها تشجيعا [illegible] الملحدين ومن يدعي الإسلام وليس هو [illegible] كالقاديانية ونحوهم ممن شوهوا محاسن الدين بعقائدهم [illegible] الكل الى كتاب الله وسنة رسوله (ص) وما [illegible] عليه السلف الصالح .

[illegible] من [illegible] والمدافعات [illegible] والصبر على ما يفاجئون به من هجوم الى ان لا يبقى في [illegible] وهذا آخذ القلم [illegible]

[illegible]

... قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون) .

(٢) توحيد الألوهية وهو توحيد الله بأفعال عباده وصرفها اليه وحده كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والانابة . قال تعالى : وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . والآيات الدالة على وجوب صرف هذه الانواع من العبادة اليه تعالى كثيرة سنأتي عليها ان شاء الله تعالى في فرصة اخرى

وهذا النوع هو الذي وقع الخلاف فيه بين البشر قديما وحديثا وما كان منتظرا وقوع مثل هذا النزاع في هذا الأصل لولا الجهل بحقيقة الدين والشهوات وحب الرئاسة ممن [illegible] في عقائدهم واعمالهم والا فأي مسلم عرف ما للدين الاسلامي من حكم وعرف الأصل الذي لأجله بعث الله أنبياءه يحاول ان يحسن للجهلاء دعاء غير الله والاستغاثة بمن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

[illegible]



الجزء الاول من القسم الاول

لمؤلفه

عبد العزيز الرشيد

قيمة النسخة ٤ روبيات

يطلب في الكويت من (المكتبة الوطنية) لصاحبها محمد
ابن اورويجح ومن (مكتبة الدرع)
وفي بغداد من (المكتبة العربية) و (المكتبة العصرية)



المطبعة العصرية

سنة ١٩٢٦ ١٣٤٤

المصادر والمراجع

- د. إبراهيم عبدالله غلوم، «المرجعية والإنزياح»، البحرين، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦.
- أحمد مصطفى أبوحاكمة، «تاريخ الكويت الحديث»، الكويت، ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٦.
- حمد الجاسر، «تاريخ الكويت للدكتور أبوحاكمة - نقد»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٦، السنة الثانية، أبريل ١٩٧٦.
- سيف مرزوق الشملان، «من تاريخ الكويت»، ذات السلاسل، ط ٢، ١٩٨٦.
- عبدالله خالد الحاتم، «من هنا بدأت الكويت»، الكويت، ط ٢، ١٩٨٠.
- مبارك الخاطر، «المنتدى الإسلامي»، البحرين، مركز الوثائق التاريخية، ١٩٨١.
- مجلة «الكويت»، المجلد الأول والثاني، ١٩٢٨ - ١٩٣٠.
- مجلة «الكويت والعراقي»، إندونيسيا، ١٩٣١.
- مجلة «التوحيد»، إندونيسيا، ١٩٣١.

الفهرس

صدر ضمن هذه السلسلة

١ ـ أدباء وأديبات الكويت

ليلى محمد صالح

٢ ـ المسرح في الخليج

د. محمد حسن عبدالله

٣ ـ الدكتور عبدالله العتيبي

(كتاب تذكاري)

٤ ـ الأجنحة والشمس (دراسة تحليلية في القصة الكويتية)

د. نجمة إدريس

٥ ـ رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا في سنة ١٨٨٩م

حسن توفيق العدل/ دراسة وتحقيق **د. محمد حسن عبدالعزيز**

٦ ـ أربعة أصوات شعرية من الخليج والجزيرة

د. محمد حسن عبدالله

٧ ـ المغيّب والمجسّد : دراسة في قصص الدكتور سليمان الشطي

د. مصطفى الضبع

٨ ـ عبدالله سنان : مغني الشعب (حياته وشعره)

فاضل خلف

٩ ـ العرب وتأصيل المسرح

د. خالد عبداللطيف رمضان

١٠ ـ تجليات الأنا في شعر ابن الفارض

عباس يوسف الحداد

١١ ـ الدوائر والزوايا (قراءة في شعر أحمد السقاف)

د. مختار علي أبوغالي

١٢ ـ عبدالله خالد الحاتم : الصحفي ـ المؤرخ ـ الباحث

خالد سالم محمد

١٣ ـ الشيخ عبدالعزيز الرشيد (دوره في الحياة الأدبية والثقافية في الكويت)

يعقوب يوسف الحجي

